ملامح المنهج التأريخي لأبي شامة في كتابه المذيل على الروضتين

دراسة ونقد

(٥٩٠ -٦٦٥ هـ/١١٩٤-١٢٦٧م)

الباحث. عبدالستار عبدالوهاب أيوب عثمان

جامعة السلطان عبدالحليم معظم شاه الإسلامية العالمية

كلية اللغة العربية

Abstract

In the name of Allah and prayer and peace be upon the Prophet Muhammad. This research refers to the historical method of Abi shamah that was followed in his writing his book Elmosail Alla Arodotin. This research consists of introduction and four chapters as follows :

The first chapter includes certain definition for Abi shamah as the place and year of birth .his first life and his books and so on.

The second chapter includes the features of his method like : arranging actions according to years it means that he writes about actions day by day, year by year and write about actions in its time, it means that he identifies date in the time of action. Even in the morning or at night like that and combine between the past action and the present action and supporting historical action with the poetry and so on.

The third chapter includes some of strange actions that had happened in the period of the author.

The fourth chapter includes some mistakes which abi shamah had made without intention.

The conclusion contains results and recommendations which must be followed. and after that there is a list of sources and references. It means that the book must be read to guide readers to more informations and . benefits.

ملخص البحث

يتناول هذا البحث المنهج التأريخي لأبي شامة في كتابه المذيل على الروضتين ، حيث يسلط الضوء على ملامح ذلك المنهج ، وهي : التأريخ على ترتيب السنين وتتابعها ، وتوقيت الحدث التاريخي ، والترتيب الزمني للحدث على الشهور داخل السنة الواحدة ، وربط الماضي بالحاضر عند التأريخ للأحداث ، ودعم الحدث التاريخي بالشعر ،والاهتمام بالوثائق والمكاتبات في تدوين الحدث التاريخي ، والتصريح بأخطاء الآخرين والتصحيح لهم ، والاهتمام بالجانب اللغوي عند تأريخه وترجمته للشخصيات، ...،وكذلك عرض البحث بعض الأحداث الغريبة والعجيبة التي أرخ لها أبوشامة، كما عرض بعض المآخذ على منهج أبي شامة .

ومن أهم نتائج البحث أنه أوضح ملامح المنهج الذي سارعليه أبو شامة في المذيل على الروضتين بالأدلة ، وبذلك قدم للقاريء مادة تاريخية مهمة عكست واقعا اجتماعيا واقتصاديا وعسكريا في مدة زمنية دقيقة في تاريخنا الإسلامي .وهي المدة من ٥٩٠ -٦٦٥هـ /١١٩٤ - ١٢٦٧م. نوصي طلاب العلم والمتخصصين في التاريخ والفقه والتفسير واللغة بالعكوف على دراسة ومذاكرة مؤلفات أبي شامة في فروع العلم المختلفة؛ لما فيها من فائدة عظيمة ومنفعة جليلة تعود بالخير والنفع على العلم والعلماء

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة و السلام على اشرف المرسلين سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين

أما بعد

فأبو شامة مؤرخ إسلامي كبير، تعددت مؤلفاته وتنوعت معارفه ،والبحث الذي بين أيدينا يلقي الضوء على ملامح منهجه التأريخي في كتابه المذيل على الروضتين ، ويتكون البحث من مقدمة وأربعة مطالب ،وخاتمة كالآتي:

المطلب الأول :ويتضمن التعريف بأبي شامة من حيث المولد والنسب والشيوخ والتلاميذ والصفات الخِلقية والخُلُقية ، والمؤلفات والوفاة ،كما يتضمن الباعث على تأليف أبي شامة للمذيل على الروضتين .

المطلب الثاني: ويتضمن ملامح المنهج التأريخي لأبي شامة وهي:التأريخ على ترتيب السنين وتتابعها،وتوقيت الحدث التاريخي،و...و...

المطلب الثالث :ويتضمن عدة أحداث غريبة وعجيبة،أرّخ لها أبوشامة .

المطلب الرابع: ويتضمن بعض المآخذ على منهج أبي شامة .

الخاتمة :وتتضمن النتائج والتوصيات ، متبوعة بأهم المصادر والمراجع.

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل وهو حسبنا ، ونعم الوكيل

تمهيد

التعريف بأبي شامة[١]

مولده ونسبه:

هو عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقي الشافعي ، ولد سنة تسع وتسعين وخمس مئة في ليلة الجمعة الثالث والعشرين من ربيع الآخر برأس درب الفواخير بدمشق ، وسُمي بأبي شامة لشامة كبيرة كانت فوق حاجبه الأيسر، وقيل إن جده الأعلى قُتل مع من قُتل من المقادسة عام دخول الفرنج بيت المقدس بالسيف، وهوعام اثنتين وتسعين وأربع مئة ، وهو أحد الشهداء الذين رؤوسهم بالمغارة المقصودة بالزيارة في مقبرة ماملّة بالقدس الشريف .

---

(١) أبو شامة ، المذيل على الروضتين ، ج١ ، ص١٣٦ ، حققه إبراهيم الزيبق ، ٢٠١٠م دارالبشائر الإسلامية ، دمشق

،الذهبي تاريخ الإسلام ، ووفيات المشاهير والأعلام ،تحقيق سعد أبو عزيز وآخرون ، ج٤٩ ، ص ١٣٧ ، المكتبة التوفيقية .

، الذهبي ، العبر ، ج٣ ص٣١٣ ، حققه أبو هاجر محمد السعيد ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، بدون سنة .

،ابن قاضي شهبة ، طبقات الشافعية ، ج٢ ، ص١٦٩ ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، ط١ ، ١٩٧٩م حيدرأباد، الدكن ،الهند ،

،السبكي ، طبقات الشافعية الكبرى ، ج٨ ، ص١٦٥ ، تحقيق عبد الفتاح الحلو – محمود الطناحي ، دار إحياء الكتب العربية ، دون سنة.

،الصفدي الوافي بالوفيات ، ج١٨ ، ص٦٨ ، تحقيق أحمد الأرناؤوط ، ط.أولى ، ٢٠٠١م دار إحياء الثراث العربي.للطباعة والنشر والتوزيع.

،الكتبي ، فوات الوفيات ، ج٢،ص ٢٧٠ ، تحقيق إحسان عباس ، دار صادر، بيروت ، دون سنة.

، ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج١٧ ، ص٤٧٢، تحقيق د. عبد الله بن عبد المحسن التركي ، بالتعاون مع مركز البحوث للدراسات العربية والإسلامية بدار الهجر للطباعة والنشر، طبعة أولى ،القاهرة.١٩٩٨م.

، اليافعي ، مرأة الجنان، ج٤ ، ص١٦٤ ، طبعة ثانية ، ١٩٩٢م ، القاهرة ، دار الكتاب الإسلامي ،

،ابن تغري بردي ، المنهل الصافي ، ج٧ ، ص١٦٤ ، حققه محمد محمد أمين ، ١٩٩٣م ، مركز تحقيق التراث .

، ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج٧، ص١٩٦، قدم له وعلق عليه محمد حسين شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، طبعة أولى ، ١٩٩٢م.

الداوودي ، طبقات المفسرين ، ج١ ، ص٢٦٨ وما بعدها ، دار الكتب العلمية ، بيروت بدون سنة أو طبعة .

، السيوطي ، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ،ج٢ ، ص٧٧ ، ط.ثانية ، دار الفكر ، ١٩٧٩م .

، ابن العماد ، شذرات الذهبي ، ج٧ ، ص ٥٥٣ ، حققه محمود الأرناؤوط وعبد القادر الأرناؤوط ، دار ابن كثير ، بيروت ، ط. أولى ، ١٩٩١م .

تعليمه وشيوخه:

ختم القرآن وله دون عشر سنين وأتقن فن القراءة على علم الدين السخاوي ت٦٤٣هـ - ١٢٤٥م،وله ست عشرة سنة ،وتفقه على فخرالدين بن عساكرت٦٢٠هـ -١٢٢٣م والسيف الآمدي ت٦٣١هـ- ١٢٣٤م ،والشيخ موفق الدين بن قدامة ت٦٢٠هـ-١٢٢٣م، وسمع الكثير حتى عُد من الحُفاظ ، وأخذ عن الشيخ عز الدين بن عبدالسلام ت٦٦٠هـ-١٢٦٢م ، وسَمِعَ بالأسكندرية من أبي القاسم عيسى بن عبدالعزيزت٦٢٩هـ -١٢٣٢م وغيره ، وسمع من عبدالجليل بن مندوبة **ت ٦١٠هـ - ١٢١٣م.**

قرأ بنفسه وأتقن الفقه ، ودرّس وأفتى وبرع في العربية ، ووَلِيَ مشيخة القراءة الأشرفية ، ومشيخة دار الحديث الأشرفية .

أخلاقه:

كان مع كثرة فضائله متواضعا ، مُطّرِحا للتكلف، غني النفس ،ومن نظمه مايعكس ذلك، حيث يقول:

أيا لائمي مالي سوى البيت موضعُ أرى فيه عزاً إنه لِيَ أنفعُ

فِراشي ونِطعي فَروَتِي ثُمّ جُبّتي لِحافي وأكلي ما يسُدُ ويُشبعُ

وَمَرْكُوبي الآن الأتانُ ونجلُها لأخلاقِ أهلِ العلمِ والدينِ أتبعُ

وقد يسّرَ اللهُ الكريمُ بفضلهِ غِنَى النفسِ مع عيشٍ بهِ أتقنّعُ

وما دُمْتُ أَرْضَى باليسيرِ فإنني غَنِيُ أَرَى هَوْلاً لغيريَ أخضعُ

تلاميذه ومن أخذ عنه:

قرأ عليه القراءة جماعة منهم شهاب الدين حسين الكفري، والشهاب أحمد اللبّان ،وزين الدين أبوبكر بن يوسف المِزّي.، كما أخذ عنه الشرف الفِزاري حيث قرأ عليه الشاطبية.

صفاته الخِلْقية : ذكر أنه حصل له الشيب وهو ابن خمس وعشرين سنة ، وكان فوق حاجبه الأيسر شامة .

مكانته العلمية والأدبية:

قال ابن كثير أخبرني الحافظ علم الدين البرزالي عن الشيخ تاج الدين الفِزاري أنه كان يقول:بلغ الشيخ شهاب الدين أبوشامة رتبة الاجتهاد .

ولنبوغه العلمي في مجالات عديدة أطلق عليه المؤرخون وأصحاب التراجم ألقاب : الفقيه ، المقرئ ، المحدث ، المؤرخ .

ويمكن إطلاق عليه لقب الأديب الشاعر؛ وذلك لسعة أدبه وكثرة شعره ، وإني لأعجب كيف غاب عمن ترجم لهذا الرجل ألا يطلق عليه لقب الأديب الشاعر ؟!

مؤلفاته:

شرحُ الشاطبية ، اختصار تاريخ دمشق لابن عساكر ، حيث اختصره مرتين : الأولى : في خمسة عشر مجلدا ، والثانية في خمس مجلدات. ، وشرح القصائد النبوية للسخاوي في مجلد، وكتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية ، وكتاب الذيل عليهما ، وشرح الحديث المقتفى في مبعث المصطفى ، وضوء القمر الساري إلى معرفة رؤية الباري ،و كتاب المحقق من علم الأصول فيما يتعلق بأفعال الرسول صلى الله عليه وسلم ، وكتاب البسملة الأكبر في مجلد ، وكتاب البسملة الأصغر ، وكتاب الباعث على إنكار البدع والحوادث ، وكتاب السواك ، وكتاب كشف حال بني عُبيد ،و مفردات القراء، ومقدمة في النحو ، ونظم المفصل للزمخشري ، و شيوخ البيهقي ، وله تصانيف كثيرة أكثرها لم يفرغها .

نظمه في السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم القيامة :

كتب يقول: إمامُ محبُ ناشئ متصدقُ وباكٍ مصلٍ خائف سَطْوة الباسِ

يُظِلُّهم اللهُ الجليلُ بظلهِ إذا كان يوم العرضِ لا ظلَ للناسِ

أشرتُ بألفاظٍ تدُلُ عليهمُ فيذكرُهم بالنّظمِ من بعضَهُم ناسِ

المحنة التي تعرض لها:

لقد تعرض أبوشامة لمحنة خطيرة في آخر حياته تبعث على الأسى والحزن حيث دخل عليه بيته الذي بآخر المعمور من طواحين الأشنان رجلان مجهولان ومعهما فتوى ، فضرباه ضربا مبرّحا ، وأَخَبَرَ عن ذلك، فقال: مرت بي محنة بداري بطواحين الأشنان ، فألهم الله الصبر ولطف ، وقيل لي اجتمع بولاة الأمر، فقلت : أنا قد فوضت أمري إلى الله تعالى وقلت في ذلك:

قُلْتُ لِمَنْ قال أما تشتكي ما قَدْ جَرَى فَهُو عَظِيمُ جَليلْ

يُقيضُ اللهُ تعالى لنا مَنْ يأخذُ الْحَقَ ويَشْفِي الْغَليلْ

إذا تَوَكّلنَا عَليهِ كَفَى وحَسْبُنَا اللهُ ونِعْمَ الوكيلْ

وفاته:

وتوفي رحمه الله تعالى في ليلة الثلاثاء تاسع عشررمضان ،ودفن بباب الفرديس وقيل بباب كيسان في سنة ٦٦٥هـ.

الباعث على تأليف المذيل على الروضتين:

ذكر أبوشامة الأسباب التي دفعته إلى تأليف المذيل على الروضتين وهي:

أولا : أن في مطالعة كتب التاريخ معتبرا وفي ذكرها عن الغرور بالدنيا مزدجرا ، لاسيما إذا ذكر بعض من مات في كل عام من المعارف والإخوان والأقارب والجيران ،وذوي الثروة والسلطان ، فإن ذلك مما يزهّد ذوي البصائر في الدنيا ، ويرغبهم في العمل للحياة العليا ، والاستعداد لما هم ملاقوه ، والإقلاع عما هم عن قليل مفارقوه[٢]

ثانيا :كثرة من يموت من المعارف ، فأراد إثباتهم لعله بمطالعتهم ، يجد قلبا على الآخرة يساعف[٣].

ثالثا: أن أحد الوعاظ ببلاد المغرب وعظ فقال كلاما معناه : أيها الناس كيف حالكم لو أن السلطان نادى فيكم أنه عازم على أن يقتل منكم كل يوم جماعة، أما كانت الأرض عليكم تضيق ، وحَسِبَ كل أحد أنه في غد من ذلك الفريق ؟ فكيف لا تقلقون ؟وهذا الموت يأخذ منكم كل يوم ما تشاهدون، وأنتم في غفلة أفلا تعقلون ؟... فأكثر الناس من البكاء ، [٤] نخلص من كل ما تقدم إلى أن الدافع الذي كان وراء تأليف أبي شامة للمذيل على الروضتين هوالعظة والعبرة من التاريخ ثم كثرة من يموت من الأقارب والمعارف والأصدقاء،ثم ماقاله أحد الوعاظ ببلاد المغرب .

دوافع تأليف أبي شامة لكتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية:

يمكن معرفة دوافع تأليف أبي شامة لكتابه الروضتين من خلال مقدمة ذلك الكتاب حيث قال فيها :

...مر بي ..من الملوك المتأخرين ترجمة الملك العادل نور الدين،فأطربني ما رأيت من آثاره و سمعت من أخباره مع تأخر زمانه ، وتغير خِلّانه ،ثم وقفت بعد ذلك ...على سيرة سيد الملوك بعده ، الملك الناصر صلاح الدين، فوجدتهما في المتأخرين كالعمرين - رضي الله عنهما - في المتقدمين ؛فإن كل ثان من الفريقين حذا حذو من تقدمه في العدل والجهاد ، واجتهد في إعزاز دين الله أي اجتهاد[٥]

ثم يقول :وهما ملِكا بلدتِنا ، وسلطانا خطتِنا ، خصّنا الله تعالى بهما فوجب علينا القيامُ بذكر فضلهما ، فعزمت على إفراد ذكر دولتيهما بتصنيف ،يتضمن التقريظ لهما والتعريف ،فلعله يقف عليه من الملوك من يسلك في ولايته ذلك السلوك[٦]

ثم يواصل قوله: فإنهم -أي الملوك والسلاطين- قد يستبعدون من أنفسهم طريقة الخلفاء الراشدين ، ومن حذا حذوهم من الأئمة السابقين ، ويقولون : نحن في الزمن الأخير ومالأولئك من نظير فكان فيما قدر الله

---

(٢) أبو شامة ، المذيل على الروضتين ،ج١،ص٥٥، حققه إبراهيم الزيبق ،٢٠١٠م، دار البشائر الإسلامية ،بيروت.

(٣) السابق، ص٥٦ بتصرف.

(٤) السابق نفس الصفحة .

(٥)أبوشامة ، الروضتين في أخبار الدولتين ،ج١،ص٢٦،تحقيق إبراهيم الزيبق،ط أولى،١٩٩٧م مطبعة الرسالة، بيروت.

(٦) السابق نفس الصفحة.

سبحانه من سيرة هذين الملكين إلزام الحُجّة عليهم بمن هو في عصرهم من بعض ملوك دهرهم ، فلن يعجز عن التشبه بهما أحد ،إن وفق الله تعالى الكريم وسدّد[٧].

وقد أخذ أبو شامة ذلك من قول أبي صالح شعيب بن حرب المدائني[٨] :إني لأحسب يُجَاء بسفيان الثوري[٩] يوم القيامة حُجّة من الله تعالى على هذا الخلق يُقال لهم :إن لم تدركوا نبيكم فقد أدركتم سفيان ،ألا اقتديتم به،؟! وهكذا أقول: هذان حُجّة على المتأخرين من الملوك والسلاطين ، فلله درُّهما من ملكين تعاقبا على حسن السيرة وجميل السريرة[١٠].

من خلال ما تقدم يتضح لنا أن الدافع الذي كان وراء تأليف أبي شامة للروضتين هو إعجابه الشديد بسيرَتَيّ الملكين : العادل نور الدين ،والناصر صلاح الدين، وقد عرض لسيرتي هذين الملكين ؛حتى يكونا حُجّةً على كل الملوك والأمراء والسلاطين من بعدهما .

المطلب الثاني :ملامح منهج أبي شامة التأريخي في كتابه المذيّل على الروضتين،وهي :

أولا: التأريخ على ترتيب السنين وتتابعها:

فهو يؤرخ للأحداث سنة بسنة فلا يترك سنة بدون التأريخ فيها للأحداث المهمّة ، وهو بذلك يتبع منهج المؤرخين العظام الذين سبقوه مثل:ابن خياط (ت٢٤٠هـ) ،والطبري(ت٣١٠هـ) ،وابن الجوزي (ت٥٩٩هـ) ،وغيرهم، وقد أرّخ من سنة تسعين وخمس مئة حتى سنة خمس وستين وست مئة ، وهي سنة وفاته .

وكثيرا ماكان يذكر اليوم الذي بدأت به السنة فيقول: وبدأت بيوم الأربعاء ، أو كان أولها يوم الأحد أو يوم الاثنين ، ثم يقول : وفيها ... وفيها...وهكذا حتى تنتهي وتبدأ سنة جديدة ، فمثلا في تأريخه للأحداث سنة خمس مئة وتسعين يقول: وفيها في جمادى الآخرة توفي بالقاهرة الشيخ الشاطبي[١١] العالم الزاهد ناظم القصيدة في القراءات السبع رحمه الله، ودفن بالقَرَافة بالقرب من التربة الفاضلية...وقد زرت قبره وشاطبة المنسوب هوإليها مدينة بالمغرب شرق الأندلس .ثم يقول: أخبرني شيخنا أبو الحسن علي بن محمد رحمه الله أن سبب انتقاله من بلاده إلى الديار المصرية أنه أريد على أن يتولى الخطابة بها فاحتج بأنه قد وجب

---

(٧)السابق نفس الصفحة

(٨)هو.أبو صالح شعيب بن حرب المدائني ، من الزهاد من أبناء فارس،سمع شعبة وسفيان الثوري،وزهير بن معاوية والتقى بهارون الرشيد فناداه باسمه ت سنة ١٩٧هـ انظر ترجمته في : وفيات الأعيان لا بن خلكان ، ج٢،ص٤٧٠،تحقيق د.إحسان عباس، دار صادر بيروت .، سير أعلام النبلاء للذهبي ، ج٩، ص١٨٨،تحقيق شعيب الأرنؤوط، كامل الخراط، مؤسسة الرسالة ،طبعة أولى ،بيروت، ١٩٨٢م والبداية والنهاية لابن كثير ،ج١٤،ص٩٧،تحقيق د.عبدالله بن عبدالمحسن التركي،بالتعاون مع مركزالبحوث للدراسات العربية والإسلامية بدار هجر ،طبعة أولى ، ١٩٩٨م.

(٩)أبو عبدالله سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، فقيه كوفي وأحد أعلام الزهد والحديث النبوي ، ت ١٦١هـ انظر المزيد من الترجمة له في الكامل في التاريخ لابن الأثير ، ج٥، ص٢٤١،دار الكتب العلمية ، بيروت ، طبعة أولى ١٩٨٧م.

(١٠) أبوشامة ، الروضتين ،ج١، ص. ٢٦.

(١١) هو أبو القاسم وقيل أبو محمد القاسم بن فيرّة بن خلف بن أحمد الرُعيني الشاطبي ت.٥٩٠هـ

عليه الحج ،وأنه عازم عليه، فتركها ولم يرجع إليها تورعا مما كان يلزمون به الخطباء من ذكرهم على المنابر بأوصاف لم يرها سائغة شرعا ،وصبر على فقر شديد،وسمع بالأسكندرية على الحافظ أبي الطاهر السِّلْفِي ثم قدم القاهرة فطلبه القاضي الفاضل[١٢] للإقراء بمدرسته فأجابه بعد شروط اشترطها عليه على ماكان فيه من الفقر ، وقَدِمَ بيت المقدس زائرا قبل موته بثلاث سنين فصام به شهر رمضان واعتكف عند الصخرة[١٣].

ومن خلال ما أورده أبو شامة من أخبارعن الإمام الشاطبي يمكن استنتاج مايلي:

١- أن الإمام الشاطبي كان يكره النفاق ،ولا يحب التملق عند الأمراء.
٢- أنه كان يعتز بشخصيته ،ويرفض الابتزاز، وانتهاز الفرص ،للإملاءات ،على الرغم من فقره .
٣- أن الشاطبي بعد استيطانه بمصر كان يرجع إلى القدس، للزيارة والاعتكاف .
٤- أبو شامة يتدخّل في سير الأحداث التاريخية مفسّرا ،وموضّحا ، فمثلا عندما يتحدث عن قبرالشاطبي بالقرافة يقول : وقد زرت قبره ، وعند الحديث عن البلدة المنسوب إليها يقول: والشاطبة المنسوب إليها مدينة بالمغرب شرق الأندلس ،وهكذا.

ثم يوالي التأريخ للأحداث في سنة ٥٩٠هـ حتى تنتهي وتبدأ سنة جديدة بعدها فيقول: ثم دخلت سنة ٥٩١هـ ، وفيها ...وفيها...ثم يقول : وفيها كانت بالمغرب وقعة الزلاّقة[١٤] ، وكانت وقعةعظيمة بين يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن وبين الفنش ملك طُلَيطُلة وكان الفُنش قد استولى على جزيرة الأندلس وقهر ولاتها . وكان يعقوب بِبَرّ العُدْوَةِ مشغولا عن نصرتهم بالخوارج الخارجين عليه ، وبينه وبين الأندلس زُقاق سَبْتَة وعرضه ثلاثة فراسخ ، ويحتاج في عبوره إلى مشقّة عظيمة ، وطمع الفنش في المسلمين بهذا السبب وكتب الفنش إلى يعقوب ... في الدخول إليه ،فسار إلى زُقاق سَبْتَة ، فنزل عليه وجمع الشواني والمراكب

---

(١٢) القاضي الفاضل هو مجير الدين، عبدالرحيم بن علي بن السعيد اللخمي،وزير من أئمة الكتاب ،ولد بعسقلان بفلسطين وانتقل إلى الأسكندرية ثم إلى القاهرة وتوفي بها كان من وزراء السلطان صلاح الدين ومن مقربيه ، ولم يخدم بعده أحدا قال بعض مترجميه: كانت الدولة بأسرها تأتي في خدمته وكان السلطان صلاح الدين يقول : لا تظنوا أني ملكت البلاد بسيوفكم بل بقلم الفاضل ، ت ٥٩٦هـ انظر ترجمته في ، الأعلام ،للزركلي ، ج٣،ص٣٤٦،دار العلم للملايين، بيروت ،الطبعة العاشرة ١٩٩٢م. ، تاريخ ابن الوردي ،ج٢، ص١١٣، ١١٤،طبعة أولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،١٩٩٦م.

(١٣) أبو شامة المذيل على الروضتين ، ج١ ، ص٦٠-٦١ ،انظرترجمة الشاطبي في : ياقوت الحموي ، معجم الأدباء ، ج٥ ، ص٢٢١٦، تحقيق إحسان عباس ،ط.أولى دار الغرب الإسلامي ، ١٩٩٣م ، ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج٤ ، ص٧١، تحقيق إحسان عباس دار صادر بيروت ، ١٩٧١م ، اليافعي ، مرآة الجنان وعبرة اليقظان ، ج٣ ، ص٤٦٧ ، دار الكتاب الإسلامي ، ط.ثانية ، القاهرة ١٩٩٣م ، المقرّى ، نفح الطيب ، ج٢ ، ص٢٣،٢٢، تحقيق إحسان عباس ، دار صادر بيروت ، ١٩٨٨م ،الذهبي ، سير أعلا م النبلاء،ج٢١،ص٢٦١ ،٢٦٢،حققه بشارعواد ،الطبعة العاشرة ،١٩٩٤م مؤسسة الرسالة .، الذهبي، العبر،ج٣،ص١٠٢، حققه أبوهاجر محمد السعيد بن بسيوني ، دار الكتب العلمية ،بيروت.

(١٤) الزلّاقة أرض بالأندلس بقرب قرطبة كانت عندها وقعة في أيام أمير المسلمين يوسف بن تاشفين مع ملك الافرنج الأزفنش (الفنش)مشهورة ، والزلاقة الموضع الذي لا يمكن الوقوف عليه لشدة زلقه، والتشديد للتكثير ،ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص١٤٦، مادة –زلق– دار صادر ، بيروت .

وعرض جنده فكانوا مئتي ألف مقاتل ،مئة ألف يأكلون الديوان ، ومئة ألف مطوّعة وعبر الزقاق إلى مكان يقال له الزلّاقة ، وجاءه الفنش في مئتي ألف وأربعين ألفا من أعيان الفرنج والمقاتلة ،والتقوا، فنصر الله المسلمين، وهرب الفنش في نفر يسير إلى طُلَيطُلة ، وغَنِمَ المسلمون ماكان في عسكره ، فكان عِدةُ من قتل من الفرنج مئة ألف وستةً وأربعين ألفا ، وعِدّةُ الأسارى ثلاثون ألفا ،ومن الخيام مئة ألف خيمة وخمسون ألفا ، ومن الخيل ثمانون ألفا ، ومن البغال مئة ألف ، ومن الحمير أربع مئة ألف حمار تحمل أثقالهم ؛لأنهم لا جمال عندهم ، ومن الأموال والجواهر والثياب مالا يُعد ولايُحصى ، وبيع الأسير بدرهم والسيف بنصف درهم ،والحصان بخمسة دراهم والحمار بدرهم ، وقسم يعقوب الغنائم بين المسلمين على مقتدى الشريعة فاستغنوا إلى الأبد[١٥] ، ووصل الفنش طليطلة على أقبح حال فحلق رأسه ولحيته ، ونكّس صليبه وآلى ألا ينام على فِراش ولايقرب النساء ، ولا يركب فرسا ولا دابة حتى يأخذ بالثأر[١٦]

من خلال ما أورده أبو شامة من أخبار بخصوص وقعة الزلاّقة نلاحظ ما يأتي :

أولا: أن أبا شامة وهِم فيما تابع فيه سبط ابن الجوزي في مرآة الزمان بخصوص تاريخ وقعة الزلاقة والصواب أنها وقعة الأرَك ، أما الزلاقة فهي وقعة أخرى كانت سنة٤٧٩هـ وبطلها يوسف بن تاشفين والمعتمد بن عباد[١٧] والوقعتان أختان متشابهتان فيما ألحقتاه من هزيمة منكرة وخسائر فادحة بجيوش النصارى في الأندلس[١٨] .

([١٥]) أبو شامة المذيل على الروضتين ،ج١ ، ص٦٢ ،٦٣ ، واليافعي مرآة الجنان ، ج٣ ، ص٤٧٢ ، والذهبي ، تاريخ الإسلام و وفيات المشاهير والأعلام ، ج٤٢ ، ص٥ ، تحقيق سعد يوسف أبو عزيز وآخرون ، المكتبة التوفيقية بدون سنة ، ابن الوردي ، تاريخ ابن الوردي ، ج٢ ، ص١٠٨ ،ولم يذكر الزلاقة ، ط١ ، ١٩٩٦م دار الكتب العلمية ببيروت ، ابن العماد ، شذرات الذهب ، ج٦ ، ص٥٠٠ ، حققه محمود الأرنؤوط ، دار ابن كثير ، ط١ ، ١٩٨٩م .،الذهبي، العبر في خبر من غبر،ج٣،ص١٠٣،دار الكتب العلمية ،بيروت،ابن كثير، البداية والنهاية، حققه أحمد عبدالوهاب فتيح ،ج١٣،ص١٤ ،١٥ ،دار الحديث القاهرة، ١٩٩٤م وقال كانت في بلاد الاندلس، شمالي قرطبة ،ابن الأثير، الكامل في التاريخ،ج١٢،ص١١٣،دارصادر،بيروت،١٩٨٢م ،ولم يذكر الزلاقة.وزاد أن الفنش أرسل رسالة إلى يعقوب بن يوسف فحواها التحدي والإثارة حتى يخرج إليه ظنا منه انه سيلحق هزيمة ساحقة بالقائد المسلم ،ونصر الله الإسلام.، والحقيقة أن هناك خلطا لدى المؤرخين في وقعة الزلاقة فعلى الرغم من تأريخ الذهبي في العبر،ج٣ ،ص١٠٣،للزلاقة بالاندلس في سنة ٥٩١هـ وفي تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ج٤٢،ص٥ للزلاقة بالمغرب في سنة ٥٩١هـ، وجدنا الذهبي يؤرخ للزلاقة بالأندلس سنة ٤٧٩هـ في تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام في الجزء الثاني والثلاثين،ص ١٦،المكتبة التوفيقية.وكذلك اليافعي في مرآة الجنان ،فقد ذكر ،موقعة الزلاقة في ج٣ ص ١٣١ في سنة ٤٧٩هـ وفي نفس الجزء (ج٣) ص ٤٧٢ ذكر موقعة الزلاقة في سنة ٥٩١هـ وهذا مما يثير الدهشة والعجب . والسبب في ذلك إما السهو.، أو متابعة أبي شامة فيما ذهب إليه في التأريخ لتلك الواقعة ، والصواب أن موقعة الزلاقة في سنة ٤٧٩هـ .كما ذكر معظم المؤرخين .

([١٦]) أبوشامة،المذيل،ج١ص٦٢ ،٦٣..بتصرف

([١٧]) المراكشي ، المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، الكتاب الثالث ، ص١٩٣،تحقيق الاستاذ محمد سعيد العريان ، تصدير بخط مهدي علام سنة ١٩٦٣م.

([١٨]) كما يرى محقق الكتاب إبراهيم الزيبق .انظر ، المذيل ج١هامش ،ص٦٢.بتصرف.

ثانيا: أنه كان يهتمّ اهتماما شديدا بذكر الإحصاءات العددية للجيوش، وكذلك الإحصاءات الدقيقة للخسائر ،والغنائم التي تكشف عنها الحروب والمعارك .

ثانيا: توقيت الحدث التاريخي:

فأبو شامة يحرص على الدقة المتناهية في توقيته للأحداث التاريخية خاصة الأحداث المتعلقة به شخصيا أو المهمة والغريبة، فمثلا : عند تأريخه لأحداث سنة ٥٩٣هـ يقول وفيها تُوفِيَ يحيى بن أسعد بن يحيى بن بَوْش، أبو القاسم الخبّاز، البغدادي ،سمع الكثير وكان قد افتقر في آخر عمره، فكان يأخذ على التسميع أجرة ،جلس ليلة الأربعاء ثالث ذي القعدة يأكل خبزا فغُصّ بلقمة فمات فجأة..وكان ثقة [١٩]

وعند تأريخه لمولده[٢٠] في سنة تسع وتسعين وخمس مئة يقول: وكانت ولادته ليلة الجمعة الثالث والعشرين من ربيع الآخر برأس درب الفواخيربدمشق داخل الباب الشرقي [٢١]

وعند تأريخه للأحداث في سنة ٦٤٣هـ قال: وفيها ليلة الأحد ثاني عشر جمادى الآخرة توفي شيخنا علم الدين أبو الحسن علي بن محمد السخاوي...وصُلِيَ عليه بعد الظهر بجامع دمشق ثم خُرِجَ بجنازته في جمع متوفر إلى جبل قاسيون[٢٢] فدفن بتربته التي في ناحية تربة بني صَصرَى خلف دار ابن الهادي ، وحضرت الصلاة عليه مرتين : بالجامع وخارج باب الفرج ، وشيّعته إلى سوق الغنم ثم رجعت لضعف كان بي من مرض قريب العهد ، وكان يوما مطيرا ، وفي الأرض وَحَلُ كثير ، وكان على جنازته هيبة وجلالة ورقة وإخبات وختم بموته موت مشايخ الشام يومئذ، وفقد الناس بموته علما كثيرا ومنه استفدت علوما جمة كالقراءات والتفسير وفنون العربية [٢٣]

ومن خلال ترجمة أبوشامة وغيره من المؤرخين للسخاوي يتضح لنا أن الرجل كان له باع في الفقه والتفسير والقراءات وفنون اللغة ، وقد حرص طلاب العلم على الأخذ عنه ،والازدحام عليه ،قال ابن خلكان : ورأيته بدمشق والناس يزدحمون عليه في الجامع لأجل القراءة ، ولاتصح لواحد منهم نوبة إلا بعد

([١٩])أبو شامة ، المذيل على الروضتين ، ج١،ص٧٧،

([٢٠]) المقصود مولد المؤلف نفسه وهو أبو شامة .

([٢١])السابق ج١،ص١٣٦.

([٢٢]) قاسيون بالفتح وسين مهملة ، والياء تحتها نقطتان مضمومة ، وآخره نون وهو الجبل المشرف على مدينة دمشق وفيه عدة مغاور فيها آثار الأنبياء وكهوف ، وفي سفحه مقبرة أهل الصلاح ، وهو جبل معظم مقدس ، ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٤، ص٢٩٥، ، دار صادر ، بيروت ، بدون سنة .

([٢٣]) أبو شامة ، المذيل ، ج٢ ، ص٧٣، ٧٤ ،ياقوت الحموي،معجم الأدباء ،ج٥ ،ص١٩٦٣،تحقيق ،إحسان عباس ،طبعة أولى ،دار الغرب الإسلامي،١٩٩٣م.،ابن خلكان ، وفيات الأعيان ،ج٣،ص٣٤٠،تحقيق إحسان عباس ،دار صادر بيروت ،١٩٧٠م. ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي،ج٢، ص١٧١،دار الكتب العلمية ، بيروت ، طبعة أولى ، ١٩٩٦م، ابن كثير،البداية والنهاية ،ج١٣،ص١٩٣،تحقيق أحمد عبدالوهاب فتيح،دار الحديث القاهرة ،١٩٩٤م.

زمان ،ورأيته مرارا يركب بهيمة وهو يصعد إلى جبل الصالحية، وحوله اثنان وثلاثة وكل واحد يقرأ ميعاده في موضع غير الآخر ، والكل في دفعة واحدة وهو يرد على الجميع[٢٤] .

وعند تأريخه لأحداث ٦٥٨هـ يقول: ثم دخلت سنة ثمان وخمسين وستمئة يوم الخميس ففي يوم الأحد بعد العصر ثامن عشر المحرم ولد لي مولود ذكر سمّيته باسم أبي إسماعيل ، وكنيته أبا العرب جعله الله مباركا[٢٥].

ويؤرخ لدخول رسل التتار دمشق في نفس السنة ٦٥٨هـ فيقول: ادخلوا دمشق ليلة الاثنين سابع عشر صفر ، وقرئ في غدها يوم الاثنين بعد صلاة الظهر بالجامع فرمان جاء من عند ملكهم معهم فيه أمان لأهل دمشق ،وما حولها وشرع أكابر البلد في تدبير أمرهم معهم [٢٦].

مما تقدم يتضح لنا أن أبا شامة يهتمّ بالدقّة في توقيت الحدث التاريخي ؛لذلك فهو يذكر السنة والشهر واليوم ويذكر وقت وقوع الحدث في اليوم ، سواء أكان ذلك في الليل أو الظهر أو العصر ، وذلك إذا توفر له ذلك التوقيت ، وإن لم يتوفر يذكر السنة والشهر واليوم ، وهذا في معظم تأريخه للأحداث في المذيّل. وبجانب دقّته في توقيت الحدث نراه يهتمّ بالتأريخ والوصف الدقيق لما صاحب الحدث ، يتضح ذلك من وصفه لما كانت عليه حاله عند تشييعه لجنازة السخاوي ، حيث أخبر أنه لم يذهب معه إلى القبر،بسبب مرضه، ووصف ذلك اليوم ،حيث كان مطيرا وفي الأرض وَحَلُ كثير ، كما ذكر أن الجنازة كان عليها هيبة ورقة وإخبات .

ثالثا: مراعاة الترتيب الزمني للأحداث على الشهور داخل السنة الواحدة :

فأبو شامة يبدأ في التوقيت للأحداث والتأريخ لها بشهر المحرم ثم صفر ثم الربيعين ثم جمادى الأولى والآخرة ثم رجب ثم شعبان ثم رمضان ثم شوال ثم ذي القعدة ثم ذي الحجة، وهكذا حتى تبدأ سنة جديدة، فمثلا عندما يؤرخ لأحداث سنة ٦٤٣هـ يقول: ثم دخلت سنة ثلاث وأربعين وستمئة : في خلافة المستعصم ابن المستنصر بن الظاهر بن الناصر ومدينة دمشق يومئذ محاصرة ، ففي الثامن من محرم ضويقت مضايقة شديدة ، وقد اجتمع عليها عساكر عظيمة من المصريين والخوارزمية وغيرهم ...وترامى الفريقان[٢٧].

وفيها في يوم الجمعة الرابع والعشرين من صفر توفي صاحبنا المحدّث شرف الدين أحمد بن الجوهري رحمه الله وكان فاضلا خيرا متواضعا متفضلا مفيدا [٢٨].

([٢٤]) ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج٣،ص٣٤٠ ،٣٤١.،ابن الوردي تاريخ ابن الوردي ، ج٢، ص١٧١، ١٧٢.

([٢٥]) أبو شامة ، المذيل ، ج٢، ص١٣٩.

([٢٦]) أبو شامة المذيل ، ج٢ ، ص١٣٩ ،واستولت التتر على دمشق وسائر الشام إلى غزة وشحنوا في البلاد ، ابن الوردي ، تاريخ ابن الوردي ،ج٢ ، ص ١٩٨ ،دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٦م .

([٢٧])أبو شامة ، المذيل على الروضتين ، ج٢، ص٦٦،.

([٢٨]) أبو شامة المذيل ، ج٢، ص٦٧،

ثم يقول: ثم توفي في ثالث عشر ربيع الأول المنتجب الهَمَذَاني المقرئ بالمدرسة الزنجيلية- رحمه الله - وكان مقرئا مجودا ... حضرت الصلاة عليه بجامع دمشق ، وشيّعته إلى داخل باب الفَرَج ، ولم يمكن من الخروج معه لأجل حصار البلد[٢٩] .

وفيها توفي في ربيع الآخر ، سابع عشره الشيخ الفقيه الصوفي كمال الدين أبو العباس أحمد بن كشاسب الدزماري -رحمه الله- وكان شيخا صالحا فقيها مشهورا من أصحابنا الشافعيين ، متضلعا من نقل وجوه المذهب وفهم معانيه ، وهو أحد من قرأت عليه المذهب في صباي[٣٠] .

وفيها في يوم الأربعاء السادس والعشرين من ربيع الآخر توفي الشيخ الفقيه ، الإمام مفتي الشام ، تقي الدين ، أبو عمرو عثمان بن الصلاح – رحمه الله- بدار الحديث الأشرفية ، وحمل على الأصابع إلى الجامع ، فصلي عليه بعد صلاة الظهر ، وكانت على جنازته هيبة ووقار ، وجمع متوفر ، ورقة شديدة وإخبات وخشوع ... ورجع الناس بسبب الحصار ، وخرج معه نفر دون العشرة إلى مقابرالصوفية فدفن بها رحمه الله [٣١].

وفي ثالث جمادى الأولى توفي العز محمد بن تاج الأمناء أحمد بن محمد بن عساكر،وكان كبير بيته يومئذ وله عناية بعلم التاريخ [٣٢] .

وفي ثالث جمادى الآخرة ،توفي الشهاب محمد بن علي بن منصور اليمني المعروف بابن الحجازي رحمه الله ، وكان من فضلاء الشبان [٣٣]

وفي ليلة ثامن عشر شعبان، توفي الفخر محمد بن عمر بن عبد الكريم الحميري ، عرف بابن المالكي الساكن بالمنارة الشرقية في بيت بني أبي جعفر ودفن من الغد في مقبرة الصوفية رحمه الله [٣٤].

وفي ليلة الأحد الثاني والعشرين من شهر رمضان، توفي بدمشق الصاحب معين الدين حسن بن شيخ الشيوخ صدر الدين ابن حَمُّوية[٣٥] .

([٢٩]) أبو شامة ، المذيل ، ج٢، ص٦٧،

([٣٠]) أبو شامة المذيل على الروضتين ، ج٢ ، ص٦٨ ،

([٣١]) أبو شامة ، المذيل ، ج٢ ، ص٦٨ ،٦٩ ، ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج٣، ص٢٤٣،تحقيق د إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، دون تاريخ. ، الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج٢٣، ص١٤٠، حققه بشار عواد ، د هلال السرحان ، مؤسسة الرسالة ، طبعة أولى ، ١٩٨٥م.،ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج٦، ٣١٤ ، قدم له محمد حسين شمس الدين ،دار الكتب العلمية ، بيروت طبعة أولى ، ١٩٩٢م. ، ابن العماد ، شذرات الذهب ، ج٧، ص٣٨٣، ط أولى ، ١٩٩١م.، حققه محمود الأرنؤوط ، وعبد القادر الأرنؤوط، ، دار ابن كثير ، دمشق ، بيروت .

([٣٢])أبو شامة ، المذيل ، ج٢ ، ص٧٠ ، الذهبي سير أعلام النبلاء ، ج٢٣، ص٢١٦، ابن العماد ، شذرات الذهب،ج٧،ص٣٩١.

([٣٣]) أبو شامة ، المذيل، ج٢، ص٧١،

([٣٤])أبو شامة المذيل على الروضتين، ج٢ ، ص٧٥،

وفي ثاني شهر شوّال توفي الأمير نجم الدين القَيمُري ...ودفن بالجبل ، وفيها اشتد الغلاء بسبب قطع الخوارزمية[٣٦] الطرقات ، ففي ثامن عشر شوال بلغت غِرارة القمح ست مئة درهم ناصرية[٣٧] .

وفي حادي عشر ذي القعدة ، بيع الخبز الأسود كل أوقيتين بدرهم ، وخبز الشعير كل أوقيتين ونصف بدرهم ... وبيع الخبز كل أوقيتين إلا ربع بدرهم ، والرطل بسبعة دراهم في يوم عيد النحر وقبله[٣٨]

وفي تأريخه لأحداث سنة ٦٦٢هـ يقول: وفي تاسع عشره - المحرم- توفي الأمير حسام الدين الجوكندار العزيزي من غِلمان العزيز بن الظاهربن صلاح الدين ، وكان له أثر مذكور في كسرة التاتار - خذلهم الله تعالى -على أرض حمص[٣٩] وفي عاشر صفر توفي بحمص الملك الأشرف بن المنصور بن المجاهد شيركوه بن ناصرالدين بن محمد بن شيركوه الأكبر بن شاذي ، وهم ملوك حمص وأعمالها كابرا عن كابر ... كان شابا عفيفا عما يقع فيه غيره من الشراب ، وله في كسرة التاتار الثانية على حمص أثر جليل[٤٠] ، وفي الثاني عشر من ربيع الأول توفي النجم أحد القراء بين يدي الجنائز ، وكان يؤذن بالمئذنة الغربية من جامع دمشق ، وهو شيخ كبير رحمه الله[٤١] ، وفي حادي عشر ربيع الآخر توفي الشريف بن الطُيوري الملقب بالجمال الذي كان نقيب القاضي الخُوَيِّي[٤٢] .

وفي ثاني جمادى الأولى توفي بمصر الرشيد العطار المحدث رحمه الله[٤٣] . وفي ثاني عشر رجب توفي العفيف بن أبي الفوارس وكان شابا حسنا ، تولى عُمالة الجامع وعُمالة مخزن الأيتام جمعا له لِحِذْقِهِ بهذه الصناعة[٤٤] .

([٣٥])المذيّل، ج٢، ص٧٦ ، ٧٧،، الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج٢٣، ص٩٧ –١٠٠ .،حققه، بشار عواد ، ود هلال السرحان ، طبعة أولى ، ١٩٨٥م مؤسسة الرسالة .، ابن العماد ، شذرات الذهب ، ج٧، ٣٧٩،تحقيق عبدالقادر الأرناؤوط ، ومحمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، طبعة أولى ، ١٩٩١م.

([٣٦]) الخوارزمية هم الذين انتشروا وتفرقوا في بلاد الشام والجزيرة عقب سقوط دولتهم الخوارزمية أمام الغزو المغولي سنة ٦٢٨هـ واستخدمهم الملك الصالح نجم الدين أيوب وزج بهم في الحروب الداخلية مع الأيوبيين وفي جهاده ضد الصليبين ،وانتعشت آمالهم باتصالهم بالملك الصالح نجم الدين أيوب وكانوا يطمحون إلى منزلة كبيرة عنده لكنه منعهم من الذهاب إلى مصر خوفا من استقلالهم بالسلطة في مصر والشام بسبب ماعندهم من طموح ولم يعطهم من الأملاك ماكانوا يريدون ،فحاولو الانقلاب عليه فدخل معهم في معركة قرب حمص وقضى عليهم ،حسين كاظم خيون ،ملخص مقال بعنوان الخوارزمية في بلاد الشام والجزيرة ، (٦١٧-٦٤٤،/١٢٢٠-١٢٤٦) مجلة ديالى للبحوث الإنسانية ، العدد ٥٣، ص١٦٦، ٢٠١١م ،.بتصرف.

([٣٧]) المذيل ، ج٢ ، ص٧٧ .

([٣٨])المذيل ، ج٢ ، ص٧٨ ،

([٣٩]) المذيل ج٢ ص١٩٣

([٤٠]) السابق نفس الصفحة

([٤١]) السابق نفس الصفحة

([٤٢])السابق ج٢ ص١٩٤

([٤٣])السابق نفس الصفحة

([٤٤]) المذيل ج٢ ص١٩٦

وفي العشرين من شعبان توفي المحيي بن سُرَاقَة شيخ مغربي عالم دين متواضع كريم حسن المحاضرةكان نزل بحلب ثم عبرعلينا بدمشق إلى مصر فتولى دار الحديث الكاملية بالقاهرة[٤٥] .

وفي يوم الجمعة ثامن شهر رمضان صلى خطيب جامع دمشق بالناس عقيب صلاة الجمعة صلاة الجنازة على الشيخ محمد بن - قيل أبو القاسم محمد بن منصور بن يحيى- المعروف بالقبّاري شيخ مشهوربالزهد والورع بالأسكندرية كان يكون في غيط له – وهو البستان- وهو فلاحه يخدمه بنفسه ويأكل من ثماره وزرعه ، ويتورع في تحصيل بَذره حتى بلغني أنه كان إذا رأى ثمرة ساقطة فيه تحت أشجاره ولايشاهد سقوطها من شجره يتورع من أكلها خوفا من أن تكون من شجرغيره ،قد حملها طائر فسقطت منه في غيطه رحمه الله [٤٦]

وفي ثالث شوال توفي النظام النصيبي ، وكان من أهل القرآن والفقه... وهو ابن أخت الشيخ كمال الدين محمد بن طلحة[٤٧] وتوفي في الحادي والعشرين من شوال الشمس النابلسي جابي المدرسة الحسامية[٤٨] .

وفي السابع والعشرين من ذي القعدة توفي الشيخ أبو عبد الله محمد بن علي البكري المرّاكُشي[٤٩].

وفي ثامن عشر ذي الحجة توفي الشمس الوتار الموصلي ، وكان قد حصّل شيئاً من علم الأدب... .وأنشد لنفسه في الشيب وخضابه فقال :

وكنتُ وإياها مذ اختطّ عارضي كروحين في جسم ومانقضتْ عهدا

فلما أتاني الشيبُ يقطعُ بيننا توهمْتُه سيفا فألبستُه غِمدا[٥٠]

وهكذا ومن خلال ما تقدم من تأريخ للأحداث في سنتي ٦٤٣هـ ، و٦٦٢هـ يتضح لنا أن أبا شامة يلتزم بالترتيب الزمني للأحداث على الشهور داخل السنة الواحدة ، فهو يبدأ بالتأريخ للوفيات من المحرم ،وينتهي بذي الحجة.

رابعا: ربط الماضي بالحاضر عند التأريخ للأحداث:

من خلال مطالعة المذيل لأبي شامة نراه يربط في كثير من الأحداث بين الحاضر والماضي منها ، فأحيانا يؤرخ لحدث ويتذكر مثيله في الماضي ثم يربط بين هذا وذاك ، ونذكرمن ذلك -على سبيل المثال لاالحصر- مايأتي:

أ-عند تأريخه لوفيات ٦٠٧هـ ذكر الشيخ أبو عمر شيخ الصالحية والمقادسة[٥١]، وواصل ترجمته فقال: وكراماته كثيرة وفضائله غزيرة، فمنها، أنني صليت يوم جمعةٍ بجامع الجبل في أول سنة ست وست مئة

([٤٥]) المذيل ج٢ ص١٩٧

([٤٦]) المذيل ج٢ ، ص١٩٨

([٤٧])السابق ج٢ ، ص٢٠٠

([٤٨]) السابق نفس الصفحة

([٤٩]) السابق ص٢٠١

([٥٠]) المذيل ج٢ ، ص٢٠٢

والشيخ عبد الله اليوناني (أسد الشام ت٦١٧هـ) إلى جانبي ، فلما كان في آخر الخطبة وأبو عمر يخطب نهض الشيخ عبد الله مُسرعا ، وصَعِدَ إلى مغارة التوبة، وكان نازلا بها ، فظننت أنه قد احتاج إلى الوضوء أو آلمه شيء ، فلما صلينا الجمعة صَعِدْتُ وراءه ،وقلت له: خير، مالذي أصابك؟ فقال: هذا أبو عمر ماتحل خلفه صلاة ، قلت: ولِمَ؟ قال: لأنه يقول على المنبر مالايصلُح، قلت :ومالذي قال؟ قال: الملك العادل ،وهو ظالم ، فمايصدُق، وكان أبو عمر يقول في آخر الخطبة: اللهم وأَصْلِحْ عبدَك الملِكَ العادلَ سيفَ الدين أبابكر بنَ أيوب ، فقلت له: إذا كانت الصلاة خلفَ أبي عمر لاتصح فياليتَ شعري خَلْفَ من تَصِحُ؟ وخَطَرَ لي قولُ عبدالرحمن بنِ عوف لما رأى عمر بن الخطاب رضي الله عنهما يمشي في أزقّة المدينة ،فتبعه، فأتى إلى بيتِ عجوزٍ ، فدخله، قال: فقلت: لأُبْصِرَنَّ ما يصنع، فتواريت، وإذا به قد خرج من عندها، فدخلت بعده، وقلت للعجوز : ماكان هذا يصنع عندك؟فقالت: يحمل إليّ ما آكل ،ويخرج الأذى عني، قال عبدالرحمن: فقلت في نفسي : ويحك يا عبدَ الرحمن أعثرات عمر تتبع؟[٥٢]

فقد ربط أبو شامة بين موقف عبد الله اليونيني الذي رفض الصلاة وراء أبي عمر المقدسي مع ورعه وتقواه وخوفه من الله ، وبين عبد الرحمن بن عوف الذي حاول تتبع عثرات ابن الخطاب أمير المؤمنين، وهو من هو في الورع ،والتقوى ،والحق ، وقد ندم ابن عوف على ذلك .وقد ندم عبدالله اليونيني أيضا على قوله عن أبي عمر والدليل على ذلك أنه قال عنه بعد ذلك : ما ذا إلا رجل صالح[٥٣] .

ب- وفي تأريخه لوفيات ٦٥٨هـ قال : وفي يوم الاثنين السابع والعشرين من جمادى الأولى طيف بدمشق برأس مقطوع مرفوع على رُمح قصير معلّق بشعره فوق قطعة شبكة زعموا أنه رأس الكامل محمد بن شهاب الدين غازي بن العادل، صاحب ميّا فارقين الذي دام التاتار محاصرين له أكثر من سنة ونصف ، ولم يزل ظاهرا عليهم إلى أن فني أهل البلد لِفَنَاءِ زادهم[٥٤] ، وبلغني أنه دُخِلَ عليه البلد فوجِدَ مع من بقي من

([٥١]) هو الشيخ أبو عمر اسمه محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة ،الجماعيلي ، ولد ٥٢٨هـ بجماعيل ،المذيل ، ج٢ص٢١٣ ، ٢١٤،اليافعي، مرآة الجنان وعبرة اليقظان ، ج٤، ص١٥، طبعة ثانية ، دار الكتاب الإسلامي ،القاهرة ، ١٩٩٣م، البداية والنهاية لابن كثير ، ج١٧،ص٢٠،تحقيق د.عبدالله بن عبدالمحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث للدراسات العربية والإسلامية ، دار هجر ، طبعة أولى ، ١٩٩٨م. ، ابن تغرى بردي ، النجوم الزاهرة ، ج٦ ، ص١٧٨، قدم له ، محمد حسين شمس الدين.،دار الكتب العلمية ، بيروت ، طبعة أولى ، ١٩٩٢م.، ابن العماد ، شذرات الذهب ، ج٧، ص٥٠ ،٥٣، أشرف على تحقيقه وخرج أحاديثه عبدالقادر الأرناؤوط، حققه وعلق عليه محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير ، دمشق ، بيروت ، طبعة أولى ، ١٩٩١م. ، الزركلي ، الأعلام ، ج٥، ص٣١٩ ، دار العلم الملايين ، الطبعة العاشرة، ، بيروت ١٩٩٢م الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، ج٤٣، ص١٧٤، ١٧٥ ، المكتبة التوفيقية ،حققه سعد يوسف أبو عزيز وآخرون .

([٥٢]) أبو شامة ، المذيل ج١، ص٢١٦، .

([٥٣]) المذيل ، ج٢، ص٢١٧.، الذهبي ، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ،ج٤٣،ص١٨٣.، ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج١٧، ص٢٢ .

([٥٤]) أبوشامة ، المذيل ، ج٢،ص ١٤٢، ١٤٣، ابن الوردي ، تاريخ ابن الوردي، ج٢،ص١٩٩ ،٢٠٠،دار الكتب العلمية بيروت،طبعة أولى ١٩٩٦م.

أصحابه موتى أومرضى ، فقُطِع رأسُه وحُمِلَ إلى البلاد ، فطِيفَ به بدمشق ثم عُلّقَ على باب الفراديس. وقلت في ذلك:

ابنُ غازٍ غَزَا وَجَاهَدَ قَوْمَا أثخنوا في العراقِ والمشرقينِ

ظاهراً غالباً ومات شهيداً بعد صَبْرٍ عليهمُ عَامِينِ

لم يَشِنهُ أن طِيفَ بالرأسِ مِنْهُ فَلَهُ أسوةٌ برأسِ الْحُسيْنِ

وافَقَ السِّبطَ في الشّهَادةِ والحَمْـ لِ لَقَد حَازَ أجرَهُ مَرّتينِ

جَمَعَ اللهُ حُسْنَ ذَينِ الشهيديـ نِ على قُبح ذَينِكَ الفِعْلَيْنِ

ثم واروا في مَشْهَدِ الرأسِ ذاك الر أسَ فاستَعْجَبوا من الحَالتينِ

وارتجوا أنّه يَجِيء لَدَى البَعْـ ثِ رفيقَ الحُسَينِ في الحُسْنيينِ[٥٥]

ثم يقول أبو شامة : ثم وقع من الاتفاق العجيب أن دفن بمسجد الرأس، داخل باب الفراديس ،شرقيّ المحراب في أصل الجدار، وغربي المحراب طاقة يقال: إن رأس الحسين - رحمه الله- دفن بها[٥٦] .

فقد ربط أبو شامة بين ما حدث لابن غازٍصاحب ميافارقين ، وما حدث للحسين بن علي رضي الله عنهما ، فقد قطع رأس كل منهما ، وطيف بهما ودفنا في مكان واحد ،كما قال أبوشامة.

ج - وفي تأريخه لأحداث ٦٥٨هـ وانتصار قطز على التتار ، ثم مقتله بعد دحره لهم ،يقارن ذلك بأحداث ٦٤٨هـ ومقتل توران شاه الملك المعظم غياث الدين بعد دحره للفرنج [٥٧]، فيقول: واتفق أن بين كسره لجيش التاتار وبين قتله قريب مما كان بين قتل المعظم بن الصالح بن الكامل وكسرة الفرنج الذين كانوا بدمياط على ماسبق ذكره في أخبارسنة ثمان وأربعين فبين هاتين الأعجوبتين المتشابهتين نحو من عشرة أعوام[٥٨] إلا أن السابقة كانت في أوائل سنة ثمان وأربعين وهذه المتأخرة كانت في أواخر سنة ثمان

([٥٥])المذيل ،ج٢، ص١٤٣،ابن الوردي، ج٢ص ٢٠٠.ولم يكمل ابن الوردي الأبيات كما جاءت عند أبي شامة .

([٥٦]) أبو شامة ، المذيل على الروضتين ، ج٢، ص١٤٣، اليافعي ، مرآة الجنان ، ج٤، ص١٥٠ ، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة ، الطبعة الثانية، ١٩٩٣م ، ابن كثير ، البداية والنهاية، ج١٣، ص٢٤٣ ، تحقيق أحمد عبد الوهاب فتيح، دار الحديث ، القاهرة ، ١٩٩٤م

([٥٧]) ابن كثير، البداية والنهاية،ج١٣،ص٢٠٢، دار الحديث ، القاهرة ،١٩٩٤م،حققه أحمد عبدالوهاب فتيح.، الذهبي،تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والاعلام ،ج٤٧،ص٢٨٦ ،٢٨٧،.، ابن الوردي،تاريخ ابن الوردي،ج٢،ص ١٧٨، طبعة أولى ،١٩٩٦م،دار الكتب العلمية ،بيروت.

([٥٨]) المذيل ، ج٢، ص١٥٥، بتصرف.

وخمسين والله تعالى يحسن العاقبة[٥٩] فقد ربط أبو شامة بين أحداث سنة ٦٥٨هـ وانتصار قطز على التتار ثم قتله ،وبين أحداث سنة ٦٤٨هـ وانتصار توران شاه على الفرنج ثم قتله أيضا .

وهكذا ومن خلال ما تقدم يتضح لنا أن أبا شامة كثيرا ما يربط بين الأحداث التاريخية الحاضر منها والماضي وذلك للعظة والعبرة وتحقيقا للمقولة التاريخية المشهورة أن التاريخ يعيد نفسه .

خامسا: دعم الحدث التاريخي بالشعر:

أبو شامة شاعر مُفْلِق ، فقد كتب قصيدة طويلة في الفلاحة وفائدة الزراعة ،كما كتب قصيدة في زوجته مادحا إياها ، ولذلك نراه يدعم الحدث التاريخي في الكثير من أخباره بشعره أوبشعر غيره ، ونذكر من ذلك -على سبيل المثال لا الحصر- مايلي:

ا- في تأريخه لأحداث ٦٥٨هـ يقول: ولما رجعتُ مررتُ بدار الحديث الأشرفية فرأيت ماهي عليه من الشعَث والخراب صورة ومعنى بسبب قلة الاشتغال بها وخراب وقفها ،فتذكرت ما كانت عليه زمان كنا بها في سني نيّف وثلاثين وست مئة ،وشيخها يومئذ شيخنا الفقيه الحافظ تقي الدين عثمان بن الصلاح فقلت بديها مشيرا إليها:

ليستْ بدارِ حَديثٍ ولا بمغنى فَلَاحِ

مِن بَعْد مَامَاتَ زنطا رُ[٦٠]والتقي ابنُ الصّلاحِ

هَذَاك للوَقْفِ والشّيـ خُ للعلومِ الصِحَاحِ[٦١]

ب- وفي تأريخه لأحداث ٦٥٤هـ وحريق المسجد النبوي قال: ونظم في حريق مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم :

لَمْ يَحْترِقْ حَرَمُ النبي لحادثٍ يُخْشَى عليه وَلَا دَهَاهُ العَارُ

لكنّما أيدي الروافض لا مَسَتْ ذاك الجَنَابَ فَطَهْرَتْهُ النّارُ

وقال أبو شامةأيضاً:

بَعْد ستٍ من المئين وخمسيـ نَ لدى أربعٍ جرى في العامِ

نار أرضِ الحجازِ مع حرقِ المسـ جدِ معه غريق دارِ السلامِ

([٥٩]) المذيل ، ج٢ ، ص١٥٥ .

([٦٠]) زنطار هذا كان يعرف بالحاج زنطار، كان الملك الأشرف واقف دار الحديث قد اعتمد عليه في عمارة الدار ووقفها والنظر في ذلك وفي خدمة الأثر الشريف النبوي بها وكان رزقها في أيامه متوفرا، انظر المذيل ج٢ ص١٥٦.

([٦١]) أبو شامة ، المذيل ج٢ ، ص١٥٦

ثم أخذِ التتارِ بغدادَ في أوّ لِ عامٍ من بَعدِ ذاك العامِ

لم يُعَنْ أهلُها وللكفرِ أَعْوَا نُ عليهمْ يا ضيعةَ الإسلامِ

وانقضتْ دولةُ الخلافةِ منها صارَ مُستعصِمُ بغيرِ اعتصامِ

ربِّ سلّمْ وصُنْ وعافِ بقايا المُدن يا ذالجلالِ والإكرامِ

فَحَنَاناً عَلَى الْحِجَازِ ومِصْرٍ وسلاماً على بلادِ الشامِ[٦٢]

وهكذا ومن خلال ما تقدم يتضح لنا أن أبا شامة يدعم ويعضد الأحداث التاريخية بالشعر سواء أكان له أو لغيره .

سادسا: الاهتمام بالوثائق التاريخية والمكاتبات في تدوين الخبر التاريخي:

أبو شامة يهتمّ بالوثائق التاريخية والمكاتبات عند تناوله للحدث التاريخي ويتضح ذلك كالآتي:

أ-في تأريخه لأخبار سنة ٦٥٤هـ ،وبخصوص النار التي ظهرت في الحجاز تضيء أعناق الإبل ببُصرى يقول مؤكدا ومدللا : وهذه صورة ما وقفت عليه من الكتب الواردة منها: لما كانت ليلة الأربعاء ثالث جمادى الآخرة سنة أربع وخمسين وست مئة ظهر بالمدينة دوي عظيم ثم زلزلة عظيمة رَجَفَتْ منها المدينة والحيطان والسقوف والأخشاب والأبواب ساعةً بعد ساعة إلى يوم الجمعة الخامس من الشهر المذكور،ثم ظهرت نار عظيمة في الحَرّة قريبا من قُريظة نبصرها دورنا من داخل المدينة كأنها عندنا ، وهي نار عظيمة ... والله لقد طلعنا جماعة نبصرها ، فإذا الجبال تسيل نيرانا ، وقد سدت الحرّةُ طريق الحاج العراقي فسارت إلى أن وصلت إلى الحرّة...وَرَجَعَتْ تسير في الشرق ، تخرج من وسطها مهود وجبال نيران تأكل الحجارة فيها أنموذج عما أخبر الله تعالى في كتابه العزيزفقال عز من قائل :﴿ إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ ﴿٣٣﴾ ﴾ [63]،وقد أكلت الأرض ،وقد كتبت هذا الكتاب يوم خامس رجب سنةأربع وخمسين وست مئة والنار في زيادة ما تغيّرت[64] ، وفي كتاب آخر للحدث نفسه يقول: ظهر في أول جمعة من جمادى الآخرة سنة أربع وخمسين وست مئة في شرقيّ المدينة نارعظيمة بينها وبين المدينة نصف يوم ، انفجرت من

---

(٦٢) المذيل على الروضتين ج٢، ص١١٥ سنعرض لسبب حريق المسجد النبوي كما ذكره أبوشامة ص٢٦.من البحث .

(٦٣) سورة المرسلات ، آية ٣٢، ٣٣.قال الطبري: وقوله ُلي ما ً اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك فقال بعضهم معنى ذلك كأن الشررالذي ترمي به جهنم كالقصر، جمالات سود أي أينق سود وقالوا الصُفر في هذا الموضع بمعنى السود ،قالوا وإنما قيل لها صفر وهي سود ؛لأن ألوان الإبل تضرب إلى الصفرة ؛ولذلك قيل لها صُفر .الطبري ، جامع البيان في تأويل القرآن، المجلد الثاني عشر، ص٣٨٩،دار الكتب العلمية ، بيروت ، طبعة أولى ، ١٩٩٢م.وقال النسفي: كالقصر في العِظَم ،وقيل هو الغليظ من الشجر ، الواحدة قصرة ،وقوله(كأنه جمالات) كوفي غير أبي بكر جمع جمل جمالات غيرهم جمع الجمع (صُفر) جمع أصفر أي سود تضرب إلى الصفرة وشبه الشرر بالقصر لعظمه وارتفاعه وبالجمال للعظم والطول واللون انظر النسفي ،تفسير النسفي، ج٤، ص٣٢٣،دار الفكر للطباعة والنشر.

(٦٤) أبوشامة ، المذيل على الروضتين ، ج٢ ، ص١٠٨ ، ١٠٩

الأرض وسال منها واد من نار حتى حازى جبل أُحد...ولا ندري ماذا تفعل؟ ووقت ماظهرت دخل أهل المدينة إلى نبيّهم -عليه الصلاة والسلام – مستغفرين تائبين إلى ربهم وهذه دلائل القيامة[65].

ب- وفي تأريخه لأحداث سنة ٦٥٩هـ يعرض المكاتبة الواردة من مصر إلى قاضي دمشق القاضي نجم الدين تُعْلِمه بما تجدد من أمر يُبهج الأمّة ويستدعي الرحمة وهوعودة ولد الإمام الظاهر ابن الإمام الناصر ، يقول:وصورة الكتاب الوارد إلى قاضي دمشق:هذه المكاتبة إلى القاضي نجم الدين نعلمه بما تجدد من أمر يبهج الأمة ويستدعي الرحمة ، ويأخذ الثأر ممن هتكوا للإسلام حرمة ، وهو أنه ورد علينا الإمام أبو القاسم أحمد ؛ولد الإمام الظاهر بن الإمام الناصر- سلام الله عليه - أكرمنا وفادته إكرام مثله ،وتلقّيناه بإحسان يقضي لقاصده باجتماع شمله ، وجمعنا العلماء والأئمة والفقهاء والأمراء والأكابر والتجّار، ومن يُشار إليه من أهل المدينتين ،وفاوضناهم بحضور الإمام- سلام الله عليه- في أمر نسبه ،وأخذ البيعة له ، فحضر جماعةُ شهدوا بالاستفاضة أنه ولد الإمام الظاهر ، وثبت ذلك عند قاضي القضاة لدينا ثبوتا شرعيا... وعند ذلك بسطنا لمبايعته راحتنا ،واقتفى أثرنا الأمراء... والناس كافة في مبايعته ،والرضى بخلافته ، وذلك في رابعة يوم الاثنين ثالث عشر رجب ، وتقدمنا بأن يُخطب له ،ويُتوَّج مَفْرِقُ الدينار والدرهم باسمه الشريف ، ونحن بصدد اهتمام نُصرة الإسلام على يديه ،وإهداء كرائم الأموال والذخائر إليه ، فليستند من منصبه الشريف إلى إمام صحيح النسَب، شريفِ الحسَب ، ويجعل استناد أحكامه إلى ولايته الصحيحة، ومبايعته الصريحة ، وليُعْلن بهذا الخبر السَّار، في البادين والحُضَّار[٦٦] .

من خلال ما تقدم يتضح لنا أن أبا شامة يُعْنَى بالوثائق والمكاتبات في تناوله وتأريخه للحدث التاريخي.

سابعا:التصريح بأخطاء الآخرين والتصحيح لهم :

فعند تناوله سيرة من يؤرخ له، لا يجد حرجا في ذكر ماوقع فيه من أخطاء، ثم يقوم بتصحيح تلك الأخطاء ويتضح ذلك فيما يأتي :

أ- في معرض تأريخه للشيخ محمد اليونيني شيخ الحنابلة الذي توفي سنة ٦٥٨هـ يقول:وجاء الخبر من بعلبك بوفاة الشيخ محمد اليونيني ، شيخ الحنابلة بها وكان شيخا ضخما ، واسع الوجه ، كبير اللحية ، يلبس على رأسه قبع فرو أسود صوفه إلى الخارج بلا عمامة ...وهو الذي صنف أوراقا فيما يتعلق بإسراء النبي صلى الله عليه وسلم ليلة المِعْراج،وأخطأ فيه أنواعا من الخطأ الفاحش ،فصنّفتُ أنا في الرد عليه كتابا سميته : ((الواضح الجلي في الرد على الحنبلي))[٦٧].

ب- وفي معرض ترجمته للقوصي أبي العرب إسماعيل بن حامد بن عبد الرحمن الانصاري الذي توفي سنة ٦٥٣هـ قال: له معجم حكى فيه عن شيوخه ، وعمل فيه بعض الفضلاء

---

(٦٥) السابق ، ج٢ ، ص١٠٩

(٦٦) المذيل على الروضتين ، ج٢ ، ص١٦٢ ،١٦٣ .

(٦٧) المذيل ج٢، ص١٤٨،ابن كثير،البداية والنهاية،ج١٧، ص٤١٩،تحقيق عبد الله بن عبدالمحسن التركي،دار هجر ، طبعة أولى ، ١٩٩٨م، ،ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة،ج ٧، ص٨٤، طبعة أولى ،١٩٩٢م، دار الكتب العلمية ، بيروت، .

كم معجمٍ طالَعَتْه مقلتي فبدا للحظها منه فضلُ غيرُ منقوصِ

فلا سمعتُ ولا عاينتُ في زمني أتمَّ في فضله من مُعْجم القُوصي

ثم قال أبوشامة :قلت : طالعته- يعني المعجم- فرأيت فيه أغاليط كثيرة ،وتصحيف أسماء وتبديلها ،وأول ذلك في نسب نفسه ،بأنه انتسب إلى سعد بن عبادة الأنصاري ،وظن أن عبادة هذا هو عبادة بن الصامت ، وإنما هو عُبادة بن دُلَيم ،وعبادة بن الصامت صحابي كبير غير هذا ،وصَحّفَ في سندِ خِرْقةِ التصوف حبيبا[٦٨]أبا محمد حسينا رأيت كل ذلك بخطه[٦٩]

ج-في معرض تأريخه لأبي محمدعبدالله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي شيخ الحنابلة الملقب بموفق الدين المتوفى سنة عشرين وست مئة وهو أخو الشيخ أبي عمر قال : كان إمامامن أئمة المسلمين ،وعلما من أعلام الدين في العلم والعمل ، صنف كتبا كثيرة حسانا في الفقه وغيره، ولكن كلامُهُ فيما يتعلق بالعقائد في مسائل الصفات والكلام هو على الطريقة المشهورة عن أهل مذهبه ،فسبحان من لم يوضح الأمر له فيها على جلالته في العلم، ومعرفته بمعاني الأخبار والآثار[٧٠] فهو يعيب عليه سوء الاعتقاد في مسائل الصفات والكلام ،واتّبَاعه أهل مذهبه .

وهكذا ومن خلال ما تقدم يتضح لنا أن أبا شامة كان لايتحرج من ذكر أخطاء الآخرين والتصحيح لهم.

ثامنا : الاهتمام بالجانب اللغوي عند تأريخه وترجمته للشخصيات :

عند مطالعة المذيل على الروضتين نرى أبا شامة لا يُهمِلُ الجانب اللغوي بل هو يتحرى الدقة حتى يجعل القاريء على معرفة كاملة بالاسم الصحيح للشخصية محل الترجمة والتأريخ، وإذا عنّ له اختلاف لغوي لايدعه حتى يجليَ غموضه ويسبر غوره ونوضح ذلك كالآتي:

أ- في معرض ترجمته لأبي الحَرَم مكي بن ريّان بن شبّة الماكسيني الموصلي النحوي الذي توفي سنة ٦٠٣هـ قال : وربما يقع تصحيف في اسم أبيه وجَدّه ،فاعلم أن اسم أبيه أوله راء مهملة، بعدها ياء معجمة باثنتين من تحت ، وآخره نون ، واسم جدّه أوله شين معجمة، بعدها باء معجمة بواحدة، على وزن حبّة [٧١].

ب- في معرض تدوينه التاريخي لمجلس الوزيرصفي الدين عبدالله بن علي المعروف بابن شكر وزير العادل في وجود الحافظ أبي الخطّاب عمر بن دحية والشيخ العلامة تاج الدين الكندي سنة ٦٠٥هـ يقول

([٦٨]) حبيب هو ابو محمد العجمي زاهد أهل البصرة وعابدهم ، روى عن الحسن البصري، وعنه حماد بن سلمة ، وأبوعوانة ،وجعفر بن سليمان ، وداود الطائي، وكان مجاب الدعوة ، تؤثر عنه كرامات وأحوال ، وكان له دنيا فوقعت موعظة الحسن البصري في قلبه فتصدق بأربعين ألفا ، وقنع باليسير وعبد الله، حتى أتاه اليقين ، وقيل كان يرى بالبصرة يوم التروية، ويرى بعرفة من الغد ، انظر، الذهبي، سير أعلام النبلاء ، ج٦ ص ١٤٣ ،١٤٤.طبعة ثانية ، بيروت ، ١٩٨٢م.

([٦٩]) المذيل ج٢،ص١٠٥.بتصرف.

([٧٠]) المذيل ،ج١ص٣٦٧ ،٣٦٨ .

([٧١]) المذيل ج١،ص١٨٢

: حكى لي مِنْ حضر ذلك المجلس أن الشيخ الحافظ أبا الخطّاب عمر ابن دحية لما عاد من رحلته الخُراسانية قصد مجلس الوزير صفي الدين عبد الله بن علي المعروف بابن شكر وزير العادل ،وكان الشيخ العلامة تاج الدين الكندي جالسا إلى جنبه، فأُجلس ابنُ دِحْية إلى الجانب الآخر فَشَرَعَ ابنُ دحية يورد حديث الشفاعة ، فلما وَصَلَ إلى قول إبراهيم الخليل صلوات الله عليه وقوله : إنما كنت خليلا من وراءَ وراءَ لفظ باللفظتين بفتح الهمزة فيهما ،فقال الكندي: وراءُ وراءُ - بالضم- فعزّ ذلك على ابن دحية ، وكان جريّاً ذا أَنَفَةٍ من الرد عليه ، فقال للوزير: من ذا الشيخ ؟فقال له : هذا تاج الدين الكندي فتسمّجَ ابن دحية في حقه بكلمات ، فلم يُسمَع من الكندي إلا قوله هو من كلب فنبح، وهذه تورية حسنة بلفظ حلو ، وذلك أن ابن دحية كان ينتسب ، إلى بني كلب من العرب... يقول أبوشامة : أما اللفظتان المتنازع فيهما، فرأيت في ((أمالي أحمد بن يحيى ثعلب)) جواز الأمرين فيهما، والجر أيضا[٧٢]

وهنا نرى أن أبا شامة قد حسم الخلاف في المسألة فقال: رأيت في أمالي ثعلب جواز الرفع والنصب والجر .

ج- عندما رفض عبدالله اليوناني الصلاة وراء الشيخ أبي عمر المقدسي بحُجة أن أبا عمر كان يقول على المنبر الملك العادل - يقصد العادل سيف الدين أبابكر بن أيوب- وهو ظالم في نظره ، هنا نرى أبا شامة يقول : وعذر الشيخ أبي عمر في ذلك أنه اسم من الأسماء الأعلام لا تلحظ فيه الصفة ، فهو كالتسمية بسالم ، وغانم ، ومحمود ، ومسعود ، يُعَبِّر عن المسمى بذلك في حالةٍ يكون متصفا بضد ما يقتضيه اشتقاق هذه الأسماء فيكون عاطبا ولا يدعو إلا بسالم ، ومذموما ولا يدعى إلا بمحمود ، تعريفا لا مدحا ، فكذا إطلاق لفظ العادل في حق مَنْ أطلقه فيه الشيخ أبوعمر[٧٣]وهكذا ومن خلال ما تقدم يتضح لنا أن أبا شامة يهتم بالجانب اللغوي للألفاظ التي تعن له عند التأريخ للأحداث ، فيسبرغورهاويجلي غموضها ،وذلك لإعطاء القاريء المعلومات اللغوية الدقيقة بخصوص ما يدون من أحداث تاريخية .

تاسعا : يؤرخ أحيانا بالتقويم الشمسي- كما هي عادة أهل الشام والعرق- بجانب التاريخ الهجري:

كثيرا ما يؤرخ أبو شامة للأحداث متبعا التقويم الشمسي على عادة أهل الشام والعراق بجانب التاريخ الهجري، ويتضح ذلك فيما يأتي:

أ- فعند تأريخه للأحداث في سنة ٥٩٨هـ قال : وجاءت في شعبان زلزلة عظيمة فشققت قلعة حمص، ...وأخربت حِصْن الأكراد ،وتعدت إلى جزيرة قبرس،وامتدت إلى نابُلُس... ورمت بدمشق رؤوس منائر

(٧٢) المذيل ،ج١ص١٩٦-١٩٧، وحديث الشفاعة أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها رقم (١٩٥) ١٨٦/١

حققه محمد فؤاد عبدالباقي ،دار إحياء التراث العربي ، بيروت ،وقوله إنما كنت خليلا من وراء وراء أي من خلف حجاب وقيل عبارة تدل على التواضع.

(٧٣) المذيل ، ج١،ص٢١٧.

الجامع وبعض شراريفه من شماله ،فقتلت رجلا مغربيا بالكلّاسة[٧٤] ،ومملوكا تركيا.. عند تنفس الصبح ،من يوم الاثنين السادس والعشرين من شعبان، الموافق للعشرين من آب وأعقبها زلزلة خفيفة في ضحوة الغد[٧٥] . فهنا قد ذكر شهر آب الذي يماثل أغسطس متبعا التقويم الشمسي على عادة أهل الشام والعراق .

ب- وفي تأريخه لأحداث سنة ٦٤٣هـ قال: وفيها اشتد الغلاء بسبب قطع الخوارزمية الطرقات ؛ ففي ثامن عشر شوال بلغت غِرارة القمح ست مئة درهم ناصرية....وبيع الخبز كل رطل بثلاثة دراهم إلى أربعة دراهم على قدر تفاوت الأخبار... وكان ذلك في تاسع شهر آزار[٧٦].وهنا قد استخدم التقويم الشمسي حيث ذكر آزار الذي يماثل ربيع الأول .

ج- وفي تأريخه للأحداث سنة ٦٥٨هـ قال :وفي أوائل ربيع الآخر في العشرين من آزار ، توفي الأوحد الدوني بحلب الذي كان قبلُ مُدرّسا بمنبج وقاضيا ، وكان مشهورا[٧٧] .

د- في تأريخه لبداية سنة ٦٥٩هـ يقول: أولها يوم الاثنين لأيام خلون من كانون الأول[٧٨] .وهو يماثل ديسمبر في التقويم الميلادي.

هـ- وفي تأريخه للأحداث سنة ٦٥٨هـ يقول:ثم دخلت سنة ثمان وخمسين وست مئة يوم الخميس ففي يوم الأحد بعد العَصْر،... ولد لي مولود ذكر، سمّيته باسم أبي إسماعيل ، وكنّيتُه أبا العربّ - جعله الله مباركا- ووافق يوم مولده رابع كانون الثاني في قوة البرد[٧٩] .وهو يماثل شهر يناير في التقويم الميلادي ،والمحرم في التقويم الهجري.

وهكذا ومن خلال ما تقدم يتضح لنا أن أبا شامة كان يؤرخ أحيانا كثيرة على التقويم الشمسي على عادة أهل الشام والعراق، فيذكر آب ،وآزار، وكانون الأول ،وكانون الثاني ،وغيرها ،كما يؤرخ على التقويم الهجري .

---

(٧٤) الكلّاسة :لم نعثر عليها في معجم البلدان بهذا اللفظ إنما وجدنا لفظ كِلّز وهي قرية من نواحي عَزَازبين حلب وإنطاكية ، ياقوت الحموي ، معجم البلدان ،ج٤ ،ص٤٧٦، دار صادر وفي وقتنا الحاضر حي من أحياء مدينة دمشق في سوريا وهي امتداد لبلدة بالقرب من حلب وحي من أحيائها، وفي اللغة الكلاسة الموضع الذي يعمل فيه الكلس، والكلس هو الجير وهو المادة المتبقية بعد تسخين الحجر الجيري تسخينا شديدا ،بعد خروج مكوناته، انظر المعجم الوجيز ، مادة ك. ل.س ، ص٥٣٩، طبعة خاصة بوزارة التربية والتعليم ،١٩٩٤م ، المعجم الوسيط،، مادة كلس ص٧٩٥ طبعة رابعة ، مكتبة الشروق الدولية ، القاهرة ،٢٠٠٤م. وهو مادة تستخدم في طلاء الجدران.

(٧٥) المذيل ، ج١، ص١١٦،.١١٧.

(٧٦) المذيل ، ج٢ ، ص٧٧. وآزار هذا يماثل شهر مارس في التقويم الميلادي .

(٧٧) المذيل ، ج٢ ، ص١٤١.

(٧٨)المذيل ، ج٢ ، ص١٥٨.

(٧٩) المذيل ، ج٢، ص١٣٩ وقد يقول قائل ماقيمة ابنه حتى يؤرخ له ويذكر مولده في كتابه ،أقول إن أبا شامة لم يقتصر في تأريخه على الجانب السياسي وإنما اهتم أيضا بالتأريخ للجانب الاجتماعي والاقتصادى. ولا يوجد أدنى شك في قوة العلاقة بين التارخ السياسي من جهة والتاريخ الاجتماعي والاقتصادي من جهة أخرى.

عاشرا: الخروج عن الخبر التاريخي بعبارات المدح والدعاء لمن يحب، وبعبارات الذم والدعاء على من يكره:

وهذه عادة دأب عليها أبو شامة في تأريخه، فكثيرا ما يدعو لمن يحب ويدعو على من يكره ،ويتضح ذلك فيما يأتي:

أ- في تأريخه لأحداث٥٩٠هـ يقول : ففيها استعادت الفرنج – خذلهم الله- حصن جُبيل بمعاملة من كردي فقيه كان فيه في مستهل صفر،وفي سنة ٥٩٢هـ يقول: ففيها نقل تابوتُ صلاح الدين – رحمه الله- من القلعة إلى التربة المستجدة له شمالي الجامع[٨٠].

ب- وفي تأريخه لحوادث ٦٤١هـ يقول: ففيها استولت التتر- لعنهم الله- على بلاد الروم - سهل الله عودها إلى بلاد المسلمين، وعند تأريخه للقاضي الرفيع الجيلي،الذي توفي في نفس السنة قال :... ثم أخرج ليلا ، وذهب به ، فسجن بمغارة ...من نواحي البقاع ثم انقطع خبره وذكروا أنه توفي - لارحمه الله- فمنهم من قال : ألقي من شاهق ، ومنهم من قال : خُنِق، وفي تأريخه لحوادث سنة ٦٤٣هـ قال : توفي الشيخ الفقيه الإمام ، مفتي الشام ، تقي الدين ، أبو عمرو عثمان بن الصلاح - رحمه الله – بدار الحديث الأشرفية، وفي حوادث نفس السنة قال: توفي شيخنا علم الدين أبو الحسن علي بن محمد السخاوي ،...رحمه الله وجمع بيننا وبينه في جنته آمين[٨١]وهكذا فأنت تراه يأتي بجمل اعتراضية بالدعاء لمن يحب والدعاء على من يكره. مثل : عفا الله عنه ، رحمه الله ، خذلهم الله ،لارحمه الله ،لاسامحه الله، جعله الله موفقا سعيدا،وذلك في أثناء سيرالخبرالتاريخي.وذلك إنما جاء من خلال تفاعل أبي شامة مع الأحداث وتأثره بها .

حادي عشر: قد يطيل في تأريخه للأحداث ، وقد يقصر حسب أهمية الحدث والمعلومات المتوفرة لديه:

فمن الأحداث التي أطال فيها الحديث والتأريخ لها-على سبيل المثال لا الحصر- مايلي:

أ- نقص النيل في مصر، وذلك في سنة ٥٩٧هـ ، فقال: وفيها كانت حوادث كثيرة عظيمة ، منها هبوط نيل مصر إلى أن بقيَ منه شيء يسير واشتد الغلاء والوباء بمصر، فهرب الناس إلى المغرب والحجاز واليمن والشام ، تفرق أيدي سبأ ،ومزقوا كل ممزق أعظم من سنة اثنتين وستين وأربع مئة ،في أيام الملقب بالمستنصر بن الظاهربن الحاكم أحد الخلفاء المِصريين [٨٢] .

ب - صلب الصبي التركي في دمشق ٦٤٦هـ يقول: وفيها في يوم الجمعة سادس عشر ربيع الأول صُلِبَ مملوك تركي صبي بالغ كان لبعض الأمراء الصالحية النّجمية يُدعى السقسيني زعموا أنه قتل سيده لأمر ما فصلب على حافة نهري بردي تحت القلعة في آخر سوق الدّواب ، وجعل وجهه مقابل الشرق... وبقي

---

(٨٠) المذيل،ج١،ص٥٦ ،٦٣.

(٨١) المذيل،ج٢،ص٦١، ٦٣ ،٦٨،٦٩ ،٧٣،٧٤.

(٨٢) المذيل ، ج١ ، ص٩٦ ،وسنعرض لهذا الحدث مرة أخرى ضمن الأحداث الغريبة والعجيبة التي أرخ لها أبوشامة .

من ظهر يوم الجمعة إلى ظهر يوم الأحد ثم مات ، وكان يوصف بشجاعة، وشهامة، ودين، وأنه غزا بعسقلان ، وقتل جماعة من الفرنج ، وقتل أسدا على صغر سنه[٨٣].

ج- ما فعله التتار بحلب ودمشق، وانتصار المصريين على التتار في عين جالون سنة ٦٥٨هـ ،والنار التي خرجت بالمدينة ،واحتراق مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة ٦٥٤هـ ،و ترجمة ابن الجوزي٥٩٧هـ، والترجمة لنفسه سنة ٥٩٩هـ، وغير ذلك .

ومن الأحداث التي كان يقصر فيها الخبر -على سبيل المثال لا الحصر- مايلي:

أ- أحداث سنة ٦٠٥هـ حيث يقول: وفيها في ربيع الأول توفي الشيخ أبو الخير مُصدّق بن شبيب بن الحسين النحوي الصّلْحي من أهل فم الصّلْحِ، ولد سنة خمس وثلاثين وخمس مئة وصحب الشيخ صدَقَة الزاهد(ت٥٥٧هـ) ،وقرأعليه القرآن والنحو ...ودفن مع الشيخ صَدَقَة في ضريحه، وكان على طريقه في الزهد والعبادة [٨٤].

ب- أحداث سنة ٦١٠هـ حيث قال: وفيها وصل كتاب من جهة بلاد خراسان من بعض فقهاء الحنفية إلى الشيخ تاج الدين الكندي بدمشق يخبر فيه بخلاص خُوارزم شاة محمد من أسر التتر، وعوده إلى مملكته ،وهو أنه كان منازلا لطوائف التتر بعساكره، فخطر له أن يكشف أمورهم بنفسه ، فتنكر، ودخل عسكرهم ،ومعه ثلاثةُ نَفَرٍ في زي القوم، فأنكروهم ،فقبضوهم ،وضربوا اثنين ،فماتا تحت الضرب ،ولم يقرّا ،ووكلوا بخوارزم شاه ،ورفيقه فهربا بالليل، ووصل محمد إلى معسكره سالما ،وعاد إلى ماكان عليه من التصدي لمنازلتهم[٨٥].

ج- أحداث سنة ٦١٢هـ حيث قال: وفيها وصل الخبر بغارة الفرنج على بلاد الإسماعيلية، وأخذهم منها نحو ثلاث مئة أسير ، وبغارة الكُرْجِ على أذربيجان فحازوا ذخائرها ،وما يزيدعلى مئة ألف أسير[٨٦] .

ثاني عشر:يأخذ عن الثقات أمثال :أبي المظفر سبط ابن الجوزي[٨٧] والعز بن تاج الأمناء[٨٨]:

---

(٨٣) المذيل ، ج٢ ، ص٨٥ ،سنعود للحديث عنه مرة أخرى ،ضمن الأحداث الغريبة والعجيبة التي أرخ لها أبوشامة .

(٨٤) المذيل ، ج١ ، ص١٩٩ ،ياقوت الحموي، معجم الأدباء حققه إحسان عباس ، ج٦، ص٢٦٩٩ ، دار الغرب الإسلامي ، طبعة أولى ، ١٩٩٣م.فم الصِّلح ،وهو نهر كبير فوق واسط بينها وبين جبُّل عليه عدة قرى ، وفيه كانت دار الحسن بن سهل وزير المأمون ،وفيه بنى المأمون ببوران ،وقد نسب إليه مجموعة من الرواة والمحدثين ، وهو الآن خراب إلا قليلا ، ياقوت الحموي ، معجم البلدان، ج٤ ص٢٧٦ ، ،م ، دار صادر، ، بيروت دون سنة أو رقم طبعة.

(٨٥) المذيل ، ج١ ، ص٢٤٢

(٨٦) المذيل ، ج١ ، ص٢٥٥

(٨٧) يوسف بن قزغلي، من أصل تركي ، توفي ٦٥٤هـ ،انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ج٢٣، ص٢٩٦ ،٢٩٧.،ابن العماد ، شذرات الذهب ،ج٧، ص٤٦٠.

(٨٨) سبقت الإشارة إليه عند أحداث ٦٤٣هـ في: ثالثا: مراعاة الترتيب الزمني للأحداث على الشهور داخل السنة الواحدة .ص ١١ ،١٢من البحث.

ويتضح ذلك كالآتي:

أ- ففي أحداث سنة ٥٩٩هـ وهي سنة مولده ،قال: ففي سَلْخ المحرَّم ليلة السبت ماجت النجوم في السماء شرقا وغربا ،وتطايرت كالجراد المنتشر يمينا وشمالا، ولم ير هذا إلا عند مبعث النبي صلى الله عليه وسلم ، وفي سنة إحدى وأربعين ومئتين ،وكانت هذه السنة أعظم ،قاله أبو المظفر سبط ابن الجوزي ، وقال العز بن تاج الأمناء في سَلْخ المحرّم رؤي في السماء نجوم متكاثفة متطايرة شديدة الاضطراب إلى الغاية[٨٩]

ب- وفي سنة٦٠١هـ يقول: قال العز بن تاج الأمناء : وفي شهور هذه السنة الأواخر تغلب طائفة من الفرنج البحرية يعرفون بالبنادقة على قسطنطينة، وأخرجوا الروم منها بعد حَصْرٍ وقتال وحازوا مملكتها ، وانتهبوا ذخائرها، وما حوته كنائسها من آلات ورُخَام وحملوه إلى الديار المصرية والشامية ، فبيع ووصل إلى دمشق منه رخام كثير[٩٠].

ج- وفي أحداث سنة٦٠٤هـ قال: وفيها توفي الأمير زين الدين قراجا الصلاحي صاحب صَرْخَدْ وداره بدمشق بالزّلاّقة بنواحي باب الصغير ، وكان شجاعا جوادا ، توفي بدمشق ، ودفن بجبل قاسيون وقبره عند تربة ابن تميرك في قُبّةٍ على الجادّة على يمين السالك شرقا كذا قال أبو المظفر[٩١] وقال العز بن تاج الأمناء توفي بالمعسكر على بحيرة قَدَس[٩٢] مرابطا يوم السبت أول جمادى الأولى ، وحمل إلى دمشق في مِحَفّةٍ[٩٣] فدفن بالمقبرة العادلية من جبل قاسيون حالة وصوله بكرة يوم الاثنين ثالث جمادى الأولى المذكور[٩٤].

د- وفي سنة ٦١٤هـ في ترجمة ابن الحَرَسْتَاني قال: قال أبو المظفر سبط ابن الجوزي:كان القاضي جمال الدين بن الحَرَسْتَاني زاهدا عفيفا، عابدا ورعا نَزِهَا ، لا تأخذه في الله لومةُ لائم ،واتفق أهل دمشق على أنه ما فاتته صلاة بجامع دمشق في جماعة ، إلا إذا كان مريضا ،ينزل من بيته من الحُوَيرة في سُلَّم طويل

---

(٨٩) أبو شامة ، المذيل على الروضتين، ج١،ص١٢٥،

(٩٠) المذيل ، ج١ص١٦٧

(٩١) المذيل ج١ص١٩٠.

(٩٢) قَدَس :بالتحريك والسين المهملة أيضا بلد بالشام قرب حمص من فتوح شرحبيل بن حسنة ، وإليه تضاف بحيرة قَدَس ، ياقوت الحموي ، معجم البلدان،ج٤، ص٣١١، دار صادر ، بيروت.

(٩٣) المِحَفّة:رَحلُ يَحِفُ بثوب تركبه المرأة ،انظر كتاب العين ، للخليل بن أحمد الفراهيدي ، تحقيق د مهدي المخزومي ، ود إبراهيم السامرائي ، ج٣، ص٣٠،(حف) دون تاريخ أو دار نشر أو سنة ، وقيل: مركب كالهودج إلاأن الهودج يقبب والمحفة لا تقبب ،وقيل مركب من مراكب النساء،وقيل : رحل يحف بثوب ثم تركب فيه المرأة. مثل السرير يحمل عليه المريض أو المسافر.انظر ابن منظور ، لسان العرب، مادة ح .ف .ف ، دار الفكر، وفي المعجم الوسيط : المِحَفَّة : هودج لا قبة له تركب فيه المرأة الجمع مِحَافُ ، ، مادة ح .ف .ف ، ص ١٨٦،الطبعة الرابعة ، ٢٠٠٤م، مكتبة الشروق الدولية.، القاهرة ، مصر .والراجح من خلال السياق انه مثل السرير أو النعش في وقتنا الحاضر والله أعلم .

(٩٤) المذيل ج١، ص١٩١.

فيصلي ويعود إلى داره، ومصلاه بيده ،وكان مقتصدا في ثيابه ،وعيشه ،وما كان يمكّن أحدا من غِلمان القضاة يمشي معه، بل كأنه بعض الناس[٩٥].

وهكذا ومن خلال ما تقدم يتضح لنا أن أبا شامة يعتمد على الثقات في التأريخ للأحداث أمثال سبط ابن الجوزي والعز بن تاج الأمناء .

المطلب الثالث :أحداث غريبة وعجيبة أرّخ لها أبو شامة:

وهي مايلي:

أولا: هبوط نيل مصر واشتداد الغلاء والوباء في سنة سبع وتسعين وخمس مئة :

قال أبو شامة :ثم دخلت سنة سبع وتسعين وخمس مئة: وفيها كانت حوادث عظيمة منها هبوط نيل مصر إلى أن بقي منه شيء يسير، واشتد الغلاء والوباء بمصر، فهرب الناس إلى أرض المغرب والحجاز واليمن والشام تفرق أيدي سبأ ،ومزّقوا كل ممزق ... فإن الناس في هذه السنة كان الرجل يذبح ولده الصغير ،وتساعده أمه على طبخه وشيه ، وأحرق السلطان جماعة فعلوا ذلك ولم ينتهوا ، وكان الرجل يدعو صديقه وأحب الناس إليه إلى منزله ليضيفه فيذبحه، ويأكله ، وفعلوا كذلك بالأطباء ، كانوا يدعونهم ليبصروا المرضى فيقتلونهم ويأكلونهم ، وفقدت الميتات والجيف من كثرة ما أكلوها ، وكانوا يخطفون الصبيان من الشوارع فيأكلونهم ،وكفن السلطان في مدة يسيرة مئتي ألف وعشرين ألف ، وامتلأت طرقات المغرب والحجاز والشام برمم الناس ، وصلى إمام جامع الأسكندرية في يوم على سبع مئة جنازة[٩٦] . وإذا كان هذا قد حدث على حد قول أبي شامة فلا شك أنه بلاء من الله نسأل الله العفو والعافية، والسلامة من كل بلية، آمين يارب العالمين.

ثانيا: صلب الصبي التركي الذي قتل سيده في سنة ست وأربعين وست مئة :

قال أبو شامة: في يوم الجمعة سادس عشر ربيع الأول ،سنة ست وأربعين وست مئة ، صُلِبَ مملوكُ تركيُ صبي بالغ ُكان لبعض الأمراء الصَّالحية النَّجمية يُدْعى السقسيني ،زعموا أنه قَتلَ سيده لأمر ما فصلب على حافة نهرٍ بردي تحت القلعة في آخر سوق الدواب، وجعل وجهه مقابل الشرق، وسُمِّرت يداه وعَضُداه ورجلاه ، وبقي من ظهر يوم الجمعة إلى ظهر يوم الأحد ثم مات ، وكان يوصف بشجاعة، وشهامة ،ودين وأنه غزا بعسقلان ،وقتل جماعة من الفرنج، وقتل أسدا على صغر سنه ،وكان منه في صلبه عجائب ؛فمن ذلك أنه جاد بنفسه للصلب غير ممتنع، ولا جازع بل مد يديه فسُمِّرَتا ثم سُمِّرت رجلاه، وهو ينظر لم يتأوه ولم يتغير وجهه، ولا حرك شيئا من أعضائه ،... وبقي إلى أن مات صابرا ساكتا ؛لم يئن ،ولم يشتك، ولم

([٩٥]) المذيل ،ج١،ص٢٩٤

([٩٦]) المذيل ، ج١، ص٩٦.،اليافعي، مرآة الجنان ، ج٣، ص٤٨٨،طبعة ثانية ،دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة ، ١٩٩٣م .،ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج١٦، ص ٧٠٣، ٧٠٤،تحقيق د. د عبدالله بن عبدالمحسن التركي ، طبعة أولى ، ١٩٩٨م.

يزد على نظره إلى رجليه وجانبيه، تارةً يميناً وتارةً شمالاً، وتارةً ينظر إلى الناس ، بل إنه استسقى ماء فلم يُسقَ ، وتألمت قلوب من عندهم رحمة وشفقة ...من أنه صبي صغير وقد ابتلي بمثل هذا البلاء[٩٧].

ثالثا: فرسان الفرنجة يتجالدون بالسيوف داخل كنيسة يافا حتى الموت سنة ثلاث وتسعين وخمس مئة :

قال أبو شامة ثم دخلت سنة ثلاث وتسعين وخمس مئة ،ففيها فتح الملك العادل يافا في شوال بالسيف واستولي على من فيها قتلا ونهباً وسلباً ثم أمر بهدمها ،فرميت حجارتها في البحر في ميناها ،ومن عجيب مابلغني أنه كان في قلعتها من الخَيّالة أربعون فارسًا من الفرنج الغَرْب البحرية ،فلما تحقّقوا نقب القلعة وأخذها دخلوا الي كنيستها ،وأغلقوا عليهم بابها ،وتجالدوا بسيوفهم بعضُهم لبعض الي أن هلكوا جميعا ، وكسر المسلمون الباب، وهم يرون أن الفرنج ممتنعون ، فألفوهم قتلى عن آخرهم فعَجِبُوا من حالهم[٩٨] .وهذه عادة دأب عليها العظماء من الناس إذا وجد أحدهم أن عدوه سيهزمه ويذله ويسبي حريمه ،فحينئذ يقتل نفسه وحريمه حتى لا يكونوا لقمة سائغة للعدو يفعل فيهم ما يشاء، فهم يفضلون الموت على الذل .وقد تفعل المرأة الحرة مثل ذلك إذا تأكد لها أن العدو سيغتصبها وينال منها.وفي العصر الحديث انتحر أدولف هتلر بعد أن تأكد أنه سيقع في أسر الأعداء فأخذ كبسولات السيانيد وأطلق النار على نفسه،في الثلاثين من أبريل عام ١٩٤٥م نهاية الحرب العالمية الثانية .

رابعا: قتل الفقيه القزويني الزاهد بعد التظاهر بالسلام عليه سنة ست مئة :

قال أبوشامة :ثم دخلت سنة ست مئة وفيها قتل الفقيه القزويني الزاهد بباب الكلّاسة[٩٩] من جامع دمشق حالة خروجه الى زيارة القدس بيد إسماعيلي واجهه مُظهرًا أنه يصافحه، وضربه بسكين فى خاصرته ،وانحرف عنه منهزمَاً ، فوقع القزويني إلى الأرض ،وحمله أصحابه إلى داخل الكلاّسة، فمات في وقته ، ودفن بمقابر الصوفية على الشرَف القبلي . وأما القاتل فإن بعض أصحاب القزويني لحقه الى الزيادة[١٠٠] ، فتناول عصا أعمى وأدخلها بين رجليه ،فوقع فركبه ، وأخذ السكين من يده ، واجتمع الناس يضربون العجمي ظنا أنه الإسماعيلي، وكادوا يفلتون الإسماعيلي منه ، ثم عرفوا القصة فأوثقوا أكتاف القاتل ، وحملوه الى المعتمد ، فحمل الى السجن ،فأقام به لا يُعارض الى أن عرض له مرض.... وحُمل الى البيمارستان ، فهلك به[١٠١].ولم يعرّف أبوشامة بالفقيه القزويني ،كما لم يذكر سبب القتل ، وكان يجب عليه ذكره ، إلا إذا كان لايعرف ،فكان من الواجب أن يقول ولا نعرف لذلك سببا.

خامسا: رد النخل على صاحبه سنة إحدى وعشرين وست مئة:

---

(٩٧) المذيل على الروضتين ، ج٢، ص٨٥، ٨٦، بتصرف.

(٩٨) المذيل على الروضتين ج ١، ص٧١،الذهبي ، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، تحقيق سعد يوسف محمود أبوعزيز وآخرون ، ج٤٢، ص ٩،المكتبة التوفيقية .

(٩٩) أي الباب الشمالي وهو مايعرف الآن بباب العمارة .، المذيل ، ج١،هامش ص١٦٣.

(١٠٠) أي باب الزيادة وهو الباب القبلي للجامع.، المذيل، ج١، هامش ص١٦٣.

(١٠١) المذيل ، على الروضتين ج١ ص ١٦٣.

قال أبو شامة : ثم دخلت سنة إحدى وعشرين وست مئة ،وفيها جرت بالعراق واقعة عجيبة؛ ببغداد قرية يقال لها بعقوبا ، فيها نخل كثير ، وليها ناظر متشيع ، وكان بها رجل من أهلها ، له نخل ، فصادره الناظر ، وأخذ منه ألفي نخلة ، فجعل يسُب الناظر ويدعو عليه ، وبلغ الناظر، فأحضره ،وأمربضربه ، فقال له:بالله عليك أنصفنى .فقال :قل.قال : أنتم تسبون أبابكر رضى الله عنه، وتقولون أخذ فَدَك من فاطمة ،وإنما فى فَدَك نُخيلات يسيرة ،تأخذ أنت مني ألفي نخلة وأسكت؟! فضحك الناظر، وردّ عليه نخله[١٠٢]. ففوة حُجّة صاحب النخل ،وشجاعته ،وعلمه بالتاريخ ،كل هذه الأسباب مجتمعة ،عملت على رد نخله عليه.

سادسا :ذبح الشرف الفلكي في داره صباح عيد الفطر على يد غلامه في سنة خمس وست مئة:

قال أبو شامة : ثم دخلت سنة خمس وست مئة وفي الرابع والعشرين من شوال وصل الخبر بأن الشرف الفلكي وُجِدَ مذبوحًا في فِراشه ، ذبحه غلام له ليلة عيد الفطر بأخلاط[١٠٣] ، وكان قد وَزَرَ للملك الأوحد وهو أخو الصفي الأسود واسمه عبد المحسن بن إسماعيل بن محمود المحلي ، وكان قد ناب بديوان دمشق عن الصاحب صفي الدين بن شُكْر في الدولة العادلية ، ثم وَزَرَ لأخي العادل لأمه فلكِ الدين فنُسِبَ إليه ، ثم استقل وزيرا بخِلاط للأوحد بن العادل إلى أن قتله مملوكه بها ليلة عيد الفطر ،سنة أربع أو خمس وست مئة وحمله من خِلاط إلى دمشق صديقه الرشيد عبدالله بن المظفّر الصفوي، ودفنه بجبل قاسيون ، وصُلِبَ قاتله على قبره. وعند صلبه بدره الرشيد فطعنه بمدية في نحره[١٠٤]. لم يذكر أبوشامة سبب ذلك الحدث الخطير ، وربما كان ذلك انتقاما منه لسوء معاملته ، أو ربما حدث منه أمر أوغر صدر الغلام عليه ،فصمم على قتله ،والله أعلم .

سابعا: تسمير شاب كان يرسل زوجته لجلب النساء وقتلهن:

قال أبو شامة :ثم دخلت سنة إحدى وستين وست مئة ، وفي ليلة الأحد ثالث صَفَر سُمّر شاب ذُكر أنه كان يرسل زوجته ، وتدخل في بيوت النساء ، فتحسّن للمرأة الخروج معها لابسة أفخر ثيابها وحُلِيّها، وتشوّقها بأن تقول لها : ها هنا عُرس أو وليمة ... وقد اجتمع فيه جماعة من النساء الأكابر ، فلا تتركي من الزينة شيئا ليحصل لك التجمل بينهن . فتفعل تلك المغرورة أقصى ما تقدرعليه ، وتخرج معها ،فتجيء بها إلى بيت زوجها ، فيأخذ جميع ما عليها، ثم يخنُقُها ويرميها في بئر في داره . فعل ذلك بجماعة من النساء .... ثم إن الشاب هتكه الله تعالى فأخذ هو وامرأته ، فضربا، فاعترفا ، فأما المرأة فخُنِقَتْ وجُعِلَتْ في جولق ،

([١٠٢]) المذيل على الروضتين ، ج١، ص٣٧٤.

([١٠٣]) خلاط بكسر أوله ، وآخره طاء مهملة ، البلدة العامرة المشهورة ذات الخيرات الواسعة والثمار اليانعة ،طولها أربع وستون درجة ونصف ..وعرضها تسع وثلاثون درجة وثلثان في الإقليم الخامس ، وهي من فتوح عياض بن غنم ، سار من الجزيرة إليها فصالحه بطريقها على الجزية ، ومال يؤديه ورجع عياض إلى الجزيرة وهي قصبة أرمينيا الوسطى ، فيها الفواكة الكثيرة والمياه الغزيرة ، وببردها في الشتاء يضرب المثل ياقوت الحموي ،معجم البلدان ، ج٢، ص٣٨٠، ٣٨١، دار صادر ، بيروت .

([١٠٤]) المذيل على الروضتين ، ج١، ص٢٠٠.، ٢٠١.

وعُلّق الجولق تحت الخشبة التي سُمّر عليها الزوج ، وأصبح الناس يوم الأحد فوجدوا الجولق المعلّق والرجل المسمّر[١٠٥] . أفسد الشاب وزوجته على النساء دنياهن ،فأفسد الله عليهما دنياهما وآخرتهما.

ثامنا:احتراق المسجد النبوي في سنة أربع وخمسين وست مئة:

قال أبو شامة :ثم دخلت سنة أربع وخمسين وست مئة ،وفيها ليلة الجمعة، أَوّل ليلةٍ من رمضان احترق مسجد المدينة على ساكنه السلام : ابتدأ حريقه من زاويته الغربية من الشمال ، وكان دخل أحد القَوَمة إلى خزانة ثمّ ومعه نار ، فعَلِقَت في آلات ثمّ ، واتصلت بالسقف بسرعة ، ثم دبّت في السقوف ...، فأعجلت الناس عن قطعها ، فما كان إلا ساعة حتى احترقت سقوف المسجد أجمع ، ووقع بعض أساطينه وذاب رصاصُها وكل ذلك قبل أن ينام الناس ،واحترق سقف الحجرة النبوية على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ووقع ما وقع منه في الحجرة ...وعد ما وقع من تلك النار الخارجة، وحريق المسجد من جملة الآيات[١٠٦] .

تاسعا: هزيمة هولاكو على يد ابن عمه بَرَكَة :

قال أبو شامة : ثم دخلت سنة ستين وست مئة وفيها في يوم السبت السابع والعشرين من ذي القعدة وصل إلى دمشق من عسكر التاتار - لعنهم الله- نحو مئتين ما بين فارس وراجل بنسائهم، وصغارهم هاربين إلى المسلمين، وذُكر أن سببه أن عسكر هولاوو كسره عسكر ابن عمه بركة ، فهرب جماعة هولاوو ، وتشتتوا في البلاد ، فقصد كل طائفة جهة ، وتوجهت هذه الطائفة إلى بلاد الشام ففرح المسلمون بهذا الخبر، وزال عنهم ما كانوا فيه من الغم بسبب الأخبار السابقة التي أوجبت أن جفلوا إلى مصر ...وأخبرني من أثق به عمن يثق به ....قال : كان جيش بركة قد كسر عسكر هولاوو الذي سيره مع ابنه ، وقتل ابنه ، فجمع هولاوو بقية من قدر عليه من عساكره ، وسار إلى بركة فلقيه بناحية شَرْوان ، فقتل من الفريقين خلق عظيم ، ووقعت الكسرة على عسكر هولاوو ، فبقي السيف يعمل فيهم أياما ، وهرب هولاوو إلى قلعة تلا وهي في وسط بحيرة بأذربيجان ، فدخلها ، وقطع الطريق إليها فبقي كالمحبوس فيها[١٠٧] .

عاشرا : إسلام رجل مسيحي على يد أبي شامة سنة ستين وست مئة :

قال أبو شامة : ثم دخلت سنة ستين وست مئة وفيها جاء يوم الثلاثاء ثامن ذي الحجة جماعة من المسلمين ،أعرف بعضهم ، ومعهم شيخ ،زعموا أنه نصراني معروف ببيع اللحم بدمشق ، وأنه رأى رؤيا ، وقد جاء مسلما ، فأخبرني أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الجمعة جاءه وكان مضطجعا من أثر مرض، فقال له : قم واخرج من الضلالة إلى الهدى ، ومرّ إلى أبي شامة ، وأسلم على يده ....ثم ارتفع صلى الله عليه وسلم إلى نحو السماء...فقلت: إلى أين يارسول الله؟ قال : أسأل ربي في الناس ونصرهم على الكفرة

([١٠٥]) السابق ، ج٢ ،ص ١٨١.بتصرف.، الذهبي ، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، ج٤٩، حوادث ووفيات ٦٦١- ٦٧٠، تحقيق سعد يوسف محمود أبو عزيز وآخرون ، ص٥ ،المكتبة التوفيقية . د.ت .

([١٠٦]) السابق ج٢، ،ص ١١٤ ،١١٥.

(107) السابق ، المذيل ،ج٢، ص١٧٨، ١٧٩.، الذهبي ، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، ج ٤٩، حوادث ووفيات ٦٦١- ٦٧٠،ص٥،

...فانتبهت وبقيت في حيرة من أمري ، فلما كان ليلة السبت رأيت مثل ذلك المنام ، ثم ليلة الأحد كذلك ، ثلاث ليال متوالية ، ثم صممت على الدخول في الإسلام ، فسألت عمن يقال له أبوشامة من المشايخ ، فدلوني عليك ، فأمرته بالإسلام، فأسلم ، والحمد لله رب العالمين[١٠٨] . نستدل من هذه الواقعة على إخلاص أبي شامة لله سبحانه وتعالى وقربه منه ،ورضا الله سبحانه وتعالى عنه .كما تدلنا على حسن الخاتمة لهذا الرجل حيث خرج من الضلالة إلى الهدى ، وشهد شهادة الحق ودخل الإسلام .

المطلب الرابع :مآخذ على (نقد)منهج أبي شامة التأريخي:

أولا: الوهم الذي وقع فيه بخصوص التأريخ الزمني لبعض الأحداث:

،فمن ذلك مايلي:

أ- وهِم أبوشامة في التأريخ الزمني لموقعة الزّلّاقة حيث ذكر أنها كانت سنة ٥٩١هـ وهو وهم منه تابع فيه سبط ابن الجوزي في مرآة الزمان ، والصواب أنها وقعة الأرَك أما الزلّاقة فهي وقعة أخرى كانت سنة ٤٧٩هـ وبطلها يوسف بن تاشفين وهما أختان فيما ألحقتاه من هزيمة منكرة بجيوش النصارى في الأندلس[١٠٩]

ب- وهِم أبو شامة عندما أرخ لوفاة مسند الشام في وقته :بركات بن إبراهيم بن طاهر الخشوعي ،حيث ذكره في وفيات سنة ٥٩٧هـ والصواب وفاته سنة ٥٩٨هـ كما في مصادر ترجمته [١١٠].

ج- كماوهِم أبو شامة فيما نقله عن العز بن تاج الأمناء بخصوص سقوط القسطنطينية بيد الفرنج حيث ذكر ذلك قال وفي شهور تلك السنة الأواخر(٦٠١هـ) تغلب طائفة من الفرنج البحرية يعرفون بالبنادقة على قسطنطينة ، وأخرجوا الروم منها بعد حصْر وقتال وحازوا مملكتها وانتهبوا ذخائرها .والصواب أن سقوط القسطنطينية بيد الفرنج كان في يوم الاثنين ١٠ شعبان ،٦٠٠هـ ١٢ نيسان ١٢٠٤م[١١١].

د- وهِم أبو شامة كذلك في تأريخه لوفاة ابن الأثيرالمؤرخ حيث ذكر أنه توفي سنة ٦٣١هـ والصواب أنه توفي سنة ٦٣٠هـ كما أجمعت مصادر ترجمته [١١٢].

ثانيا : عدم التثبت في نقل الرواية عن النبي صلى الله عليه وسلم:

فقد نقل عن أبي المظفر سِبْط ابن الجوزي قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : ولدت في زمن الملك العادل كسرى: وهذا حديث لا أصل له : فقد ذكره ابن كثير في البداية والنهاية سنة ٦٠٧هـ وقال : هذا

---

(١٠٨) المذيل ، ج٢،ص١٧٩ ،١٨٠.

(١٠٩) راجع ص٩من البحث حاشية ١٨.

(١١٠) انظر المذيل ج١، هامش ص١١٥ ،١١٦.حاشية ١.

(١١١) انظر ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج١٢، ص ١٩٠ –١٩٢، د أسمنت غنيم ، الحملة الصليبية الرابعة ، ص٨٧،نقلا عن المذيل ج١، هامش ص ١٦٧، حاشية١.

(١١٢) انظر هامش المذيل ج٢، ص٢٩.حاشية ٣

حديث لا أصل له، وليس هو في شيء من الكتب المشهورة .وعجبا لأبي المظفر ثم لأبي شامة في قبول مثل هذا ، وأخذه منه مسلما إليه فيه[١١٣].

ثالثا: استخدام بعض الكلمات العامية والمهجورة : استخدم أبوشامة بعض الكلمات العامية ،والمهجورة مثل : انفلّ – مرميين – يلتئذ – بُخْش- يتمسخر - زَبَرَ– تبعّجت خيولهم – سيّبوا ما بأيديهم - يزهزه.وغيرها .

رابعا : **إهمال التأريخ لبعض الأحداث المهمة** : فقد أهمل التأريخ لوقعةٍ بين الروم وبني أيوب سنة إحدى وثلاثين وست مئة .واكتفى بإشارة عابرة لم يكمل سطرا واحدا.وكذلك في تأريخه لأحداث ووفيات ٦٥٦هـ لم يكمل نصف صفحة في ذكرماتعرضت له بغداد على أيدي التتار .وكان أولى به أن يفرد ويفصل الحديث في مثل هذين الخبرين، وغيرهما ، فقد كان معاصرا وعالما بالأحداث .

خامسا: عرض بعض الأحداث بدون ذكر أسبابها: فمن ذلك: قتل الفقيه القزويني ،فلم يذكر سبب قتله، ولا حتى اسمه .وكذلك الحال مع الشرف الفلكي فلم يذكرسبب ذبح غلامه له .

سادسا: لم يستخدم لفظا واحدا ولا رسما محددا لكلمة التتار :فتارة يقول التتر وتارة يقول التاتار وتارة أخرى يقول التتار وهو اسم لمسمى معروف .

سابعا : كثيرا ما يؤرخ لأحداث غير ذات جدوى في نظرالقاريء: مثل تأريخه لمولد ابن بنته حسن بن عبدالرحمن بن محمد بن علي البكري[١١٤]، وتأريخه لمولد ابنه ،وغير ذلك .

ثامنا : الترجمة المقتضبة لشخصية علمية مهمة تستحق الإفراد لها بالترجمة : مثل العز بن عبدالسلام فقد ترجم له ترجمة مقتضبة لا تتجاوز نصف الصفحة ، مع أنه يستحق الإفراد له بترجمة .وذلك في وفيات سنة ستين وست مئة .

تاسعا: الإساءة إلى الميت والدعاء عليه بعدم الرحمة واستخدام الكلمات النابية : فعند ذكره للقاضي الرفيع الجيلي قال: ...فسجن بمغارة من نواحي البقاع ثم انقطع خبره وذكروا أنه توفى – لارحمه الله – فمنهم من قال ألقي من شاهق ،ومنهم من قال خنق . فكان يجب عليه ألّا يدعو عليه بعدم الرحمة ، لأنه أفضى إلى ما قدم ،وعندما ذكر أصحابه: قال: قبض على أعوان القاضي الرفيع الجيلي الظلمة الأرجاس .والأرجاس كلمة لا تليق بحقهم فكان عليه أن يترفع عنها ،ولا يصفهم بها ؛لأنهم مسلمون . وذلك في وفيات سنة إحدى وأربعين وست مئة .

عاشرا : على الرغم من اهتمام أبي شامة بالجانب اللغوي عند تأريخه للأحداث إلاأنه قد جانبه الصواب في هذا الجانب ؛ يتضح ذلك عند تناوله لأبي الخير مُصدِّق بن شبيب الصِّلحي، فقد قال: من فم الصُلح بضم

([١١٣]) انظر المذيل ، ج١هامش ص٢١٧.حاشية ١ بتصرف.

([١١٤]) المذيل ج٢، ص١٧٢.

الصاد وبالرجوع إلى معجم البلدان وجد ناها فم الصِلح بالكسرأي بكسر الصاد ، وليس بالضم ، وكذلك على الرغم من اهتمامه بأسماء البلدان والتعريف بها ، إلا أنه عند ذكره للكلّاسة لم يعرف بها ،ولم يشرإليها .

هذا وعلى الرغم من تلك المآخذ على المنهج التأريخي لأبي شامة سيظل المذيل على الروضتين من أهم الكتب التاريخية التي أرخت لتلك الفترة من ٥٩٠هـ حتى ٦٦٥هـ حيث يُعد منهلا فياضا ومعينا لا ينضب يورده كل متخصص وباحث في التاريخ الإسلامي .

الخاتمة

من خلال تلك الرحلة مع أبي شامة في كتابه المذيل على الروضتين يمكن تقريرالنتائج الآتية:

١- ولد أبو شامة سنة تسع وتسعين وخمس مئة(٥٩٩هـ) وتوفي سنة خمس وستين وست مئة (٦٦٥هـ)،ختم القرآن وله دون عشر سنوات ،وأتقن فن الرواية على علم الدين السخاوي، وأتقن الفقه، ودرّس وأفتى وبرع في العربية ، وكان مع كثرة فضائله،وغزارة علمه متواضعا،وحدث له الشيب وهو ابن خمس وعشرين سنة .تعددت مؤلفاته في التاريخ واللغة والفقه والتفسير.

٢- اتبع أبوشامة في تأليفه للمذيل، تدوين الأحداث علي ترتيب السنين وتتابعها ، كما اتخذ الدقة الزمنية منهجا في توقيت الحدث التاريخي.

٣- كان يراعي الترتيب الزمني للأحداث على الشهور داخل السنة الواحدة.
٤- كان يربط الماضي بالحاضر في تأريخه للأحداث،كما كان يدعم الخبر التاريخي بالشعر .
٥- اهتم بالوثائق والمكاتبات في تأريخه للأحداث،كما كان يصرح بأخطاء الآخرين ويصحح لهم .
٦- كان يهتم بالجانب اللغوي عند التأريخ للأحداث ، كما كان يتّبع التقويم الشمسي أحيانا كثيرة بجانب التقويم الهجري.
٧- كان يخرج عن الحدث التاريخي بعبارات المدح والذم والدعاء.
٨- اعتمد على سبط ابن الجوزي والعز بن تاج الأمناء وهم من الثقات ،في الكثير من الأحداث التاريخية.

٩-على الرغم من المآخذ على منهجه التأريخي سيظل المذيل على الروضتين من أهم الكتب التاريخية التي أرخت لتلك الفترة من ٥٩٠هـ حتى ٦٦٥هـ حيث يُعد منهلا فياضا، ومعينا لا ينضب ،يورده كل متخصص ،وباحث في التاريخ الإسلامي .

١٠- نوصي طلاب العلم والمتخصصين في التاريخ والفقه والتفسير واللغة بالعكوف على دراسة ومذاكرة مؤلفات أبي شامة في فروع العلم المختلفة؛ لما فيها من فائدة عظيمة ومنفعة جليلة تعود بالخير والنفع على العلم والعلماء.

المصادر والمراجع

١- ابن الأثير، الكامل في التاريخ،ج١٢، دارصادر،بيروت،١٩٨٢م.

٢- ابن تغري بردي ، المنهل الصافي ، ج٧ ، ، حققه محمد محمد أمين ، ١٩٩٣م ، مركز تحقيق التراث .

٣- ابن تغرى بردي ، النجوم الزاهرة ، ج٦ ، ، طبعة مصورة عن دار الكتب المصرية:

٤- ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج٤ ، تحقيق إحسان عباس دار صادر بيروت ، ١٩٧١م

٥- الداوودي ، طبقات المفسرين ، ج١ ، وما بعدها ، دار الكتب العلمية ، ببيروت بدون سنة أو طبعة

٦- الذهبي تاريخ الإسلام ، ووفيات المشاهير والأعلام ،تحقيق سعد أبو عزيز وآخرون ، ج٤٩ المكتبة التوفيقية

٧- الذهبي ، العبر ، ج٣ ، حققه أبو هاجر محمد السعيد ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، بدون سنة .

٨-الذهبي ، سير أعلا م النبلاء،ج٦،ج٢١،،حققه بشارعواد، ،الطبعة العاشرة ،١٩٩٤م مؤسسة الرسالة .

٩- الزركلي ، الأعلام ، ج٣،ج٥،دار العلم للملايين،الطبعة العاشرة ١٩٩٢م.

١٠-السبكي ، طبقات الشافعية الكبرى ، ج٨ ، عبد الفتاح الحلو – محمود الطناحي ، دار إحياء الكتب العربية ، دون سنة.

١١-السيوطي ، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، ج٢ ، ، ط٢ ، دار الفكر ، ١٩٧٩م

١٢- أبوشامة ، الروضتين في أخبار الدولتين ،ج١،تحقيق إبراهيم الزيبق،طبعةأولى،١٩٩٧م مطبعة الرسالة، بيروت.

١٣- أبو شامة ، المذيل على الروضتين ، ج١ ، ج٢، حققه إبراهيم الزيبق ، ٢٠١٠م دارالبشائر الإسلامية ، دمشق

١٤-الصفدي، الوافي بالوفيات ، ج١٨ ، ، تحقيق أحمد الأرنؤوط ، ط١ ، ٢٠٠١م دار إحياء الثراث العربي.

١٥-الطبري،تفسير الطبري،مجلد١٢،دار الكتب العلمية ، بيروت ، طبعة أولى ١٩٩٢م.

١٦-ابن العماد ، شذرات الذهب،ج٧، حققه محمود الارناؤوط ، وعبد القادر الأرناؤوط ،طبعة أولى ،١٩٩١م دار ابن كثير دمشق ،بيروت.

١٧- الفراهيدي، كتاب العين ، ج٣، تحقيق د مهدي المخزومي ، د. إبراهيم السامرائي ،دون تاريخ أو دار نشر .

١٨-ابن قاضي شهبة ، طبقات الشافعية ، ج٢ ، ط١ ، ١٩٧٩م دائرة المعارف العثمانية ، حيدرأباد، الدكن ،الهند

١٩- القشيري،صحيح مسلم ،تحقيق الشيخ محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

٢٠- الكتبي ، فوات الوفيات ، ج٢، تحقيق إحسان عباس ، دار صادر بيروت ، دون سنة.

٢١ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج١٧ ، تحقيق د.عبد الله بن عبد المحسن التركي ، ، دار هجر للطباعة والنشر، بالتعاون مع مركز البحوث للدراسات العربية والإسلامية القاهرة طبعة أولى ١٩٩٨م.

٢٢- مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط ، الطبعة الرابعة ، مكتبة الشروق الدولية ، ٢٠٠٤م

٢٣- المراكشي ، المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، الكتاب الثالث ، تحقيق الأستاذ محمد سعيد العريان ، القاهرة ،١٩٦٣م.

٢٤-المقرّى ، نفح الطيب ، ج٢ ، تحقيق إحسان عباس ، دار صادر بيروت ، ١٩٨٨م

٢٥- ابن منظور، لسان العرب، دار الفكر ، دون سنة .

٢٦-النسفي،تفسير النسفي، ج٤،دار الفكر للطباعة والنشر.

٢٧- ابن الوردي،تاريخ ابن الوردي،ج٢، طبعة أولى ،١٩٩٦م،دار الكتب العلمية ،بيروت.

٢٨- اليافعي ، مرأة الجنان،ج٣، ج٤، ط٢، ١٩٩٢م ، القاهرة ، دار الكتاب الإسلامي ،

٢٩- ياقوت الحموي ، معجم الأدباء ، ج٦ ، ط١ ، ١٩٩٣م ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، تحقيق إحسان عباس .
٣٠- ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، دار صادر ، بيروت.

المراجع والمجلات :

٣١- حسين كاظم خيون ، مقال بعنوان : الخوارزمية في بلاد الشام والجزيرة (٦١٧-٦٤٤هـ/ ١٢٢٠-١٢٤٦م)، مجلة ديالى للعلوم الإنسانية ،العدد٥٣، ٢٠١١م.